الآيات الكونية ودلالتها على الوحدانية من خلال علمي طبقات الأرض والجغرافيا

تفسير موضوعي

تأليف الدكتور / حامد مصطفى عثمان محمد المكاوي
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

المقدمة

الحمد لله فاطر النفوس وباديها ، وباريء النسمات ومحييها ، وصانـــع الذرات ومجريها ، وأشهد أن لا إله إلا ﷲ خالق الموجودات ، الموحد بطواف الطائفات وأشكال النجوم والكويكبات ، وعمومية القـــرارات ، وسنن المخلوقات ، ورسوم الموجودات ، وبصمات الفردانية في الأحياء والجمادات ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أفضل البريات ، صلى الله عليه ، وعلى إخوانه من النبيين ، وآله الطاهرين ، وصحابته الغر المحجلين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الديـــن . وبعد . فقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وموضوع البحث ، وخاتمة ويسرت البحث في كل ذلك بإعداد بمجموعة من الفهارس ، وسأبدأ ببيان منهجي في البحث .

أولا : منهجي في البحث :

عنيت ببيان مظاهر وحدة النظام الكوني المستمرة الباقية وتشابهها ، كأدلة قاطعة على وحدانية المنظم ، وانفراده بحكم الكون وملكه ، حيث يقول الدكتور أحمد محمد الغمراوي : " والنظـــر العلمي لا يقنع من نفسه بهـــذا ، بل يمضـــي في بحثه عن وحدانية النظام في الكون كنتيجة لازمة لوحدانية خالق الكون ، وهو بعمله هذا يزداد تفهما للكون الذي هو موضوع دراسة العلم ويزيد دليل وحدانية الخالق ظهورا وقوة كلما كشف مظهر من مظاهر وحدة النظـــام ، حتى إذا بلغ ذلك منتهاه ، وأثبت عن طريق يقينيات العلم أن فطرة الكون على اختلاف مظاهرها إنما هي فطرة واحدة متماسكة متكاملة ، فقد جعل وحدانية فاطر الفطرة فوق شك الشاكين" [(١)] ثم يقول : " والمحسوسات تنقسم في أخصر تقسيم لها إلى حياة ومادة وطاقة والحياة في مختلف صورها تنتفع بالمادة والطاقة وتتوقف عليهما ، والمادة والطاقة متلازمتان فالمادة لا تنفك عن الطاقة ظاهرة أو باطنة ، والطاقة لا تكاد تنفك عن مادة ، فدل ذلك على أن خالق المادة والطاقة واحد سبحانه وأنه هو خالق الحياة " [(٢)] .

---

(١) الإسلام يتجلى في عصر العلم ، تأليف : محمد أحمد الغمراوي (ط ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٣م) صفحات (٧٦، ٧٧) الفصل السادس بعنوان : سنن العلم (دليل الوحدانية).

(٢) المرجع السابق صفحة (٧٧).

ثم استدل بوحدة الأصل لخلق الأرض والكواكب من جزء انفصل من الشمس على وحدانية الخالق لها ، كما استدل على وحدانية ﷻ بخضوع المخلوقات لقانون الجاذبية ، كما استدل على تكون المجرات من أصل واحد وهو السدم على وحدانية ﷻ ، واستدل بدورة الماء ، والعناصر اللازم كل منها لاستمرار الحياة على الأرض [١] كما استدل لوحدانية ﷻ بدليل عام ينطوي تحته كثير من الدلائل التي سترد في بحثي هذا بعبارة موجزة حيث قال : " فانظر إلى رحمة ﷻ وحكمته ومظهر قدرته ووحدانيته كيف جعل حلقات الحياة مترابطة متكاملة ، توقف خلق في حياته على خلق آخر كل ينتفع ويحيا بما يستضر به الآخر .. ويجدد له بذلك ما ينتفع ويحيا به ، لكن أمر وحدة الخلق قد جاوز الحيوان والنبات إلى الجماد ، إلى المادة والطاقة ، ليس من ناحية توقف حياة النبات والحيوان والإنسان عليهما ولكن من ناحيتهما هما بالذات ، فالطاقة في صورها المختلفة من حركة ، وحرارة وضوء ، وكهربائية وما إليها ، قد أثبت العلم أنها في صميمها واحد ... والمادة أصلها واحد ، والعناصر النيف والتسعين مركبة ، كلها من أصلين بسيطين تتركب منها ذرة الأيدروجين ، يسميها الإفرنج الإلكترون والبروتون ... فالمادة أصلها واحد ، وهي تفنى كمادة إذ تتحول بالتحلل الإشعاعي والتفجير إلى طاقة ، والطاقة أصلها واحد ، إذ يتحول بعض أنواعها إلى بعض تحولا كميا على مقدار مضبوط فالمادة والطاقة أصلهما واحد ، أي خلقهما الخالق -ﷻ- من أصل واحد ، وخلق منهما كل هذه الموجودات المحسوسة منح بعضها من بعض ، فأي دليل يحتاج إليه بعد هذا إلى وحدة الكون واتساق الفطرة ؟ وهل يحتاج عقل بعد هذا إلى دليل على ﷻ الواحد الخلاق ؟! [٢] ثم استدل بوحدة الطواف لجميع المخلوقات حول مركز ما، ثم طواف الحجاج المسلمين حول الكعبة ، وانفراد الإسلام بذلك منسجما مع الكون على وحدانية ﷻ وأن خالق الكون الواحد هو الإله الذي يعبده المسلمون كما استدل بكون المطوف به دائما ما يكون واحدا ، وكثيرا ما يكون الطائفون

---

(١) المرجع السابق صفحة (٧٧، ٨٠).

(٢) الإسلام يتجلى في عصر العلم (الدين والرسول والكتاب) للغمراوي ، صفحات (٨٠: ٨٢)

باختصار.

متعددون ، على وحدانية ﷲ الذي جعل المطوف به واحدا [1]. ويقول الدكتور منصور حسب النبي : " وبعضها -يعني الآيات الكونية في القرآن-من القضايا الكلية التي تنطوي تحتها قضيا جزئية ثبت بعضها فعلا ، ولا تزال صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف عنه العلم في مجالها ، ومعروف أن القضايا الكلية هي أرقى ما يمكن أن يصل إليه العلم في ميادينه المتعددة مثل قضايا الزوجية في الكون والنسبية العامة والخاصة ، وتعدد العوالم ، وضرورة توافر الماء لخلق الأحياء وكلها قضايا قرآنية تشير عند ورودها في الآيات الكونية إلى تماثل وتنـــاسق ووحدة الخلق ، وبالتالي إلى وحدانية الخالق ، وعلى سبيل المثال قوله -تعالى- : ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [2] وقوله -تعالى- : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [3] وهذا مبدأ قرآني ينص على أن الوحدانية صفة الخالق بينما الزوجية صفة المخلوق ، والنص القرآني عام يشمل الكون كله في قوله : ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقد اتسع مفهوم الزوجية حديثا ، فشمل الجسيمات الذرية ، والمادة ، والمادة المضادة ، والزمن ، والزمن النقيض ، كما يتحدث علماء الدين عن الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحلال والحرام فالزوجية سنة مضطردة حتى في الأفكار ، تسري في الكون كله بروعة تأخذ بالعقول والألباب كقضية كلية تدل على وحدانية الخالق ، وصدق الحق تبارك وتعالى في قوله : ﴿...مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ...﴿٣﴾﴾ " [4] [5] والمنهج

---

(١) الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث ، المرجع السابق ، صفحات (٨٣: ٨٧).

(٢) الذاريات.

(٣) يس.

(٤) الملك.

(٥) (ط مصر ، دار المعارف ، ١١١٩ كورنيش النيل ، ٢٠٠٣م) صفحة (٨١).

الذي اتبعته في هذا البحث متنوع ما بين المنهج الاستدلالي ، والاستقرائي ، حسب مقتضيات البـــحث ، وربطت فيه بين مظاهر وأحوال الوجود ، ووحدانية واجب الوجود ، وليس البحث بطويل ممل ، ولا بقصير مخل ، وليست مادته بمنتحلة من كتب سابقة ، أو موضوعات سالفة .

ثانيا : خطة البحث :

جعلت البحث مكونا من مقدمة احتوت على بيان منهجي في البحث ، وخطة البحث التي أكتبها الآن ، ثم قسمت البحث إلى قسمين الأول : التمهيد ، والثاني الموضوع فإليك أولا التمهيد : حيث احتوى على النقاط الآتية : الأولى : تعريف توحيد الإلوهية.الثانية : تعريف توحيد الربوبية.الثالثة :معنى كلمة الرب في اللغة والشرع

وثانيا : موضوع البحث ، واحتوى على فصلين ، احتويا على مباحث ، وربما احتوت على مطالب ، وربما احتوت على نقاط حسب مقتضيات البحث في التقسيم وقد كان عنوان الفصلين كالآتي : الفصل الأول : الآيات القرآنية ، ودلالتها على الوحدانية ، من خلال علم طبقات الأرض. الفصل الثاني : الآيات القرآنيـــة ودلالتها على الوحدانية ، من خلال علم الجغرافيا ، وأخيرا نضدت البحث بخاتمة احتوت على أهم النتائج ، ثم خدمت البحث بفهرس المراجع ، وفهرس الموضوعات وبما أن نبينا بلغ الرسالة ، كما أخبر ربنا عنه ، فقال : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [1] وفسر ذلك بأنه ليس العارف الذي يُخبر عن أسرار التوحيد الخالص بمُتَّهَم ولا بخيل ، بل يجود به على مَن يستحقه ، فإننا أتباع هذا النبي الكريم لا يسعنا إلا ترسم خطاه ، طلبا لمرضاة مولانا ومولاه ، الذي أنزل عليه من آيات هداه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴿٣١﴾﴾ [2].

---

(١) التكوير.

(٢) جزء آية من سورة آل عمران.

الآيات الكونية الأرضية ودلالتها على الوحدانية

دراسة موضوعية

ويشتمل على تمهيد ، وموضوع البحث :

أولا : التمهيد. ويحتوي على النقاط الآتي :

الأولى : تعريف توحيد الإلوهية .

الثانية : تعريف توحيد الربوبية .

الثالثة : معنى كلمة الرب في اللغة والشرع .

الرابعة : معنى الوحدة لغة ، وبالنسبة لله – سبحانه وتعالى–.

أولا : التمهيد

يجمل بنا قبل البدء في إيراد أدلة الوحدانية بمبحثنا هذا ، أن نمهد بين يديه بالحديث حول توحيد الإلوهية ، وتوحيد الربوبية وتعريفهما :

تعريف توحيد الإلوهية :

عرف العلماء توحيد الإلوهية بتعريفات متقاربة منها أن توحيد الإلوهية هو إفراد الله -تعالى- بجميع أنواع العبادة ؛ الظاهرة ، والباطنة ، قولاً وعملاً ونفي العبادة عن كل من سوى الله -تعالى- كائناً من كان [1] .

تعريف توحيد الربوبية :

توحيد الربوبية ، هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وأنه الخالق للعالم ، المحيي المميت ، الرزاق ذو القوة المتين ، لم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، لا رادَّ لأمره ، ولا معقب لحكمه ولا مضاد له ولا مماثل ، ولا سمي ، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ، ومقتضيات أسمائه وصفاته [1] . ولتوحيد الربوبية أسماء أخرى منها : -١ التوحيد العلمي. ٢ - توحيد المعرفة والإثبات.

معنى كلمة الرب في اللغة والشرع :

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ قال ابن منظور : " الرب يطلق في اللغة على المالك ، والسيد ، والمدبِّر والمربي ... أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه من له الخلق والأمر والملك . قال -تعالى- : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ... ﴾ [2]. وقال : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ... ﴾ [3] [4] .

---

(١) رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (٩/٢).

(٢) الأعراف.

(٣) فاطر.

(٤) لسان العرب لمحمد ، بن مكرم ، بن على ، أبي الفضل ، جمال الدين ، بن منظور ، الأنصاري المتوفى ٧١١هـ(ط ٣ ، بيروت ، دار صادر ، سنة ١٤١٤هـ) (٣٩٩/١) .

وإن مادة هذا البحث تسوقك إلى محبة ﷻ الذي حفظ للإنسان حياته ، وكفل له رزقه ، وبث له في كونه دلائل وحدانيته ، وبراهين معرفته ، وتبين كمال صفاته وجلال أفعاله ، التي تقتضي وحدانية ذاته ، كما بث في كونه من مظاهر ألطافه وشواهد أعطافه ، ما يزرع المحبة له في قلوب عباده ، وفيه الإقرار الجازم بأن ﷻ وحده ربٌّ كلِّ شيءٍ ومليكه ، ويسمى بالتوحيد العلمي والخبري ، والمعرفي ، وهو ما يلمح إليه نفي العلم أو أثارة منه ، عن شرك المشركين بقول ﷻ -تعالى- : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ﴾ (١) وقوله :

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ (٢) وقوله : ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ (٣) وقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ (٤). ويقول ابن كثير : " والعالم مشتق من العلامة (قلت) : لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته ، كما قال ابن المعتز :

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد (٥)

معنى الوحدة لغة ، وبالنسبة لله -سبحانه وتعالى- :

---

(١) الكهف.

(٢) الزخرف.

(٣) الجاثية.

(٤) الأحقاف.

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء ، إسماعيل ، بن ، عمر ، بن كثير ، القرشي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]

تحقيق : سامي ، بن محمد ، بن سلامة (ط ٢ ، نشر : دار طيبة للنشر ، سنة ١٤٢٠هـ) (١٣٣/١)
وبيت الشعر لأبي العتاهية انظر ديوانه (ط ، بيروت ، سنة النشر : ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) صفحة (٥).

بما أن مظاهر الوحدة في الكون دالة على وحدانية ﷻ ينبغي لنا أن نبين معنى الوحدة لغة فيما يتصل ببحثنا من خلال مقال الفيروزابادي ، فهو يقول : " [الواحِد] في الحقيقة هو الشيء الَّذي لا جُزْءَ له ألبتَّة ، ثمَّ يُطْلق على كلِّ موجود ، حتَّى إنَّه ما من عَدَد إلاَّ ويَصحُّ وصفُه به ، فيقال : عشرةٌ واحدةٌ ، ومائةٌ واحدةٌ ، فالواحد لفظٌ يُستعمل على ستَّة أَوجه ... وإذا وُصِف ﷻ -ﷻ- بالواحِد ، فمعناهُ هو الذي لا يصحّ عليه التَجزِّى ، ولا التَكَثُّر ، ولصُعُوبة هذه الوَحْدَة ، قال ﷻ -تعالى- : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (١). (٢) ومنهجي في هذا البحث غالبا ما يكون منهجا استقرائيا استدلاليا ، ينطلق من الجزئيات والدقائق ؛ ليقرر الكليات والحقائق .

يقول الألوسي : " والعالم كالخاتم اسم لما يعلم به ، وغلب فيما يعلم به الخالق تعالى شأنه ... فإنه كما يستدل على ﷻ -ﷻ- بمجموع ما سواه ، وبكل جنس من أجناسه ، يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجمـــوع ، وبكل فرد من أفراد تلك الأجنـــاس ، لتحقق الحاجة إلى المؤثر الواجب لذاته في الكل ، فإن كل ما ظهر في المظاهر ، مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر ، كائنا ما كان لإمكانه وافتقاره ، دليل لائح على الصانع المجيد ، وسبيل واضح إلى عالم التوحيد (٣) . وأنت قارئ في بحثي هذا ما يدل على وحدانية ﷻ علميا وخبريا ومعرفيا بحيث يثبت لديك توحيد ﷻ خالقا للكون ، فإليك الأدلة المستقرة في أرض ﷻ المقلة ومخلوقاتها المطلة من خلال علمي طبقات الأرض والجغرافيا.

---

(١) الأحقاف.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين ، محمد ، بن يعقوب ، الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي (ط ١ ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث ، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م) (١٧٠/٥، ١٧١، ١٧٢) .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود ، الألوسي ، أبي الفضل (ط بيروت دار إحياء التراث العربي) (٧٨/١) .

ثانيا : الموضوع

الآيات الكونية الأرضية ، ودلالتها على الوحدانية

ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول : الآيات الكونية ، ودلالتها على الوحدانيـــة من خلال علم طبقات الأرض .

الفصل الثاني : الآيات الكونية ، ودلالتهـــا على الوحدانيـــة من خلال علم الجغرافيا.

الفصل الأول

الآيات الكونية ، ودلالتها على الوحدانية ، من خلال علم طبقات الأرض

بث الله من آيات وحدانيته ، وعلامات ربوبيته ، في أرضه وخليقته ، من جبال راسيات ، وسحب ساريات ، ورياح مبشرات ، وزيوت نافعات ، ومعادن وغازات ونباتات وحيوانات ، وبشر وكائنات ، ما يستغرق حياة البشر بحثا وتنقيبا ، وتعجبا وتعجيبا ، أمام عظيم صنعته ، وبديع فطرته ، وحكيم توجيهها ، ودقيق تكوينها وجميل تصويرها ، وعميم تقنينها ، ووحدة أساليب خلقها ، ومناهج عملها ، وتشابه ذرات مكوناتها ، وتقابل أجزائها ، وتزاوج أغيارها ، وتوازنها واستقرارها وديمومتها واستمرارها ، وانتظام دوراتها ، يقول الله في قرآنه المبين

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (١) .

وتتمثل الأدلة على وحدانية الله من خلال العلم الحديث الخاص بآيات الأرض في المباحث الآتية :

---

(١) سورة الذاريات.

المبحث الأول

صدوع الأرض وتوتيدها بالجبال ، ودلالتهما على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : صدوع الأرض ، ودلالتها على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

- قول الله -تعالى- : ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ [1] يدل على وجود صدوع في الأرض ، وإن اكتشاف العلماء لوجود شبكة الصدوع الأرضية بين الألـواح الأرضية بهذا الشكل المتشعب ، يدل على وحدانية الصادع سبحانه ، الفاعل لهذا الصدع ، والمقـدر له ، والذي رسم شكله ، وحدد كيفيته ، ونظم دورته على مر أزمان الأرض ، حيث يؤدي تحرك هذه الألواح ، وانزلاقها واصطدامها ببعضها باستمرار إلى تكوين صدوع في القشرة الأرضيـة ، متشعبة تشعبا يشبه رسوم أوراق الشجر ، وهذه التصدعات تكثر في قاع البحار ، وينتج عنها انطلاق كميات كبيرة من الحمم المنصهرة من باطن الأرض على شكل براكين ، فالنيران تشتعل في قاع البحر بشكل دائم ، وعلى الرغم من حجم الماء الكبير فوقها ، فإنه لا يستطيع إخمادها. يقول - تعالى- : ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [2] كما يخبر عن ازدياد هذا التسجير مع الزمن بحيث يكاد يكون البحر كله نارا ، فيقول : ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [3] فسجر في اللغة بمعنى : أشعل ، وأحرق ، والنبي-ﷺ- قال : " إن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا " [4].

---

(١) الطارق.

(٢) الطور.

(٣) التكوير.

(٤) في كشف الخفا (البحر هو جهنم) رواه أحمد ، عن يعلى بن أمية رفعه ، فقالوا ليعـلى فقال : ألا

فعموم التصدعات في ألواح الأرض ، دليل على وحدانية الصادع ، الذي قرر قرارا لم يستثني منه لوحا ما من ألواح القشرة الأرضية ، وهو ما دل عليه مجيء لفظ الصدع بالآية القرآنية مفردا ، وليس مجموعا ، فلم يقل ﷲ والأرض ذات الصدوع ليوضح تشابه هذه الصدوع في عدم انتظامها ، كأنها صدع واحد له شكل واحد لأن مدبر نظام صدعها واحد -ﷻ- يقول ﷲ -تعالى- : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ بِأَمْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ...﴿٢٥﴾﴾ (١) فوحدة الأمر وعموميته ، تدل على وحدة مصدره ومنفذه ، ووصف ﷲ أمره بالوحدة فقال : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ وَٰحِدَةٌ إِلَّا كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴿٥٠﴾﴾ (٢) فأمره واحد ولذلك يجيء متصفا بالعمومية.

= ترون أن ﷲ- ﷻ-يقول : ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قال : لا والذي نفسي بيده لا أدخلها أبدا حتى أعرض على ﷲ- ﷻ- ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى ﷲ- ﷻ- وعزاه في الدرر لأحمد عن يعلى بن منبه بلفظ " البحر طبق جهنم " والمشهور على الألسنة : " البحر غطاء جهنم " وهو بمعنى ما قبله ، ورواه الحاكم في الأهوال عنه بلفظ " أن البحر " وقال صحيح الإسناد وتقدمت الرواية الصحيحة أن جهنم تحت الأرض السابعة ، وعن عبد ﷲ بن عمرو قال : " إن تحت البحر نارا ، ثم ماء ، ثم نارا " أخرجه ابن أبي شيبة ، وأبو عبيدة ، زاد أبو عبيدة : " حتى عد سبعة أبحر " وزاد غيره : " وسبعة نيران " ينظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل ، بن محمد ، الجراحي العجلوني (نشر دار إحياء التراث العربي) (٢٨١/١) والمستدرك على الصحيحين ؛ لمحمد ، بن عبد ﷲ أبي عبد ﷲ الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفي ، عبد القادر ، عطا (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م) (٦٣٨/١) وعن يعلى ، بن أمية -ﷺ- أن النبي قال : " البحر هو جهنم " أخرجه أحمد ، والبيهقي بسند رجاله ثقات ، وينظر يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار ، لصديق ، بن حسن ، بن علي ، القنوجي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا (الطبعة الأولى ، القـاهرة ، مكتبة عاطف ، دار الأنصار ، ١٣٩٨ هـ-١٩٨٧م) (٤٦/١). وجزء الآية من سورة الكهف من الآية رقم (٢٩). وانظر شعب الإيمان ، لأبي بكر ، أحمد ، بن الحسين ، البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني (ط١ ، دار الكتب العلمية- بيروت ، سنة ١٤١٠هـ) : الأسماء والصفات ، للبيهقي أحمد ، بن الحسين ، أبي بكر ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ تحقيق : عبد الله ، بن محمد ، الحاشدي (ط ١ الناشر : مكتبة السوادي – جدة) (٣٣٣/١).

(١) الروم.

(٢) القمر.

يقول مقاتل ، بن سليمان ، في تفسيره : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ يعني علاماته أن تعرفوا توحيد ﷲ تعالى بصنعه ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني السماوات السبع والأرضين السبع ، قال ابن مسعود : قامتا على غير عمد ﴿بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يدعو إسرافيل-عليه السلام-من صخرة بيت المقدس في الصور عن أمر ﷲ -ﷻ- : ﴿دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (١) وفي هذه كله الذي ذكره من صنعه عبرة وتفكراً في توحيد ﷲ -ﷻ-(٢) وقد أورد ﷲ خبر المشركين بعد عدة آيات من قوله : ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ فقال :﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ (٣) فالآيات سيقت للدلالة على الوحدانية وإبطال ما ذهب إليه الكافرون من الشرك بحيث يذهب كيدهم في نشر الشرك والكفر هباء منثورا ، وفي تفسير السعدي : " ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ لإظهار الحق " (٤).

المطلب الثاني : توتيد الأرض بالجبال ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول ﷲ-تعالى- : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ (٥) ويقول : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى رَوَٰسِىَ ٱلْأَرْضِ ...﴿١٥﴾﴾ (٦) ومن الآيتين نستبين أن توتيد القشرة الأرضية بالجبال حتى لا تميد

---

(١) الروم.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن ، مقاتل ، بن سليمان ، البلخي ، المتوفى سنة ١٥٠هـ ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته (ط١ ، بيروت ، نشر : دار إحياء التراث ، سنة ١٤٢٣ هـ) (٤١١/٣).

(٣) الطارق.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن ، بن ناصر ، بن السعدي تحقيق : عبد الرحمن ، بن معلا ، اللويحق (ط ١ ، السعودية ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م) (٩١٩/١).

(٥) النبأ.

(٦) النحل.

الأرض بأحيائها ، وتنعدم الحياة من فوقها ، دليل على وحدانية ﷲ سبحانه ، الذي جعل القشرة الأرضية ألواحا ، ثم جعل الجبال لها أوتادا ، فالألواح متشابهة جدا شقها ﷲ شقا ، وصدعها بالصدوع صدعا ، وألقى الجبال من جوفهـــا ، لتمنع من انزلاقها ، والميد بأهلها ، وكون قيعان البحار والمحيطات في طبقة الأرض الموجودة مباشرة تحت الغلاف الصخـــري ، والتي تعرف بمنطقة الضعف الأرضي [١] ومن وظائف الجبال أنها تثبت صاحبتها القشرة الأرضية ، التي انفرجت لها لتنطلق من رحمها الصخرية الحارة اللزجة الضعيفة ؛ لتطل على الدنيا شامخة برؤوس قممها ، راسخة بأطراف جذورها ، ومستقرة في جوف القشرة حتى تأتي نهايتها الحتمية ، وميتتها السوية ، بإزالة عوامل التعرية من الماء والهواء ، والمطر ، والشمس لها بالكلية ، حيث تبري قمتها شيئا فشيئا ، حتى تذرها قاعا مستويا وصفصفـــا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، وتصبح الجبال جزءا من أصلها القشرة الأرضية ، مقلدة لها في مهمتها من حمل الأحياء من فوقها ، كما تحمل الأم وليدها الرضيع. يقول ﷲ -تعالى- : ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [١] ويقول : ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ...۝١٥﴾ [٢] والسفينة الراسية يكون جزء منها أسفل الماء فليس كل السفينة ما يظهر منها عند رسوها ، بل معظمها أسفل الماء ، وكذلك الجبل ليس كل الجبل ما يظهر على السطح ، بل للجبل جذور تمتد في القشرة الأرضية تبلغ أحيانا ثلاثة عشر ضعف ما يظهر منه ، وتشبه الجبال السفينة في رسوها حيث يكون أشبه بالسفينة في وجود امتداد له أسفل القشرة ، وفي ميلان بعض أنواعه مرتفعا من أحد الجوانب بعد حدوث هبوط وانخفاضات وارتفاعات في الجبال الرسوبية.

---

(١) النبأ.

(٢) النحل.

(٣) صور من تسبيح الكائنات لله ، للأستاذ الدكتور : زغلول النجار (ط١٠ ، القاهرة ، ينـــاير ٢٠٠٦م ١٨ شارع كامل صدقي ، الفجالة) صفحة (٨٤، ٨٥).

المبحث الثاني
دحو الأرض ، وكرويتها هي والأجرام السماوية ، وجاذبيتها ، ودلالة ذلك على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على عدة مطالب :

المطلب الأول : دحو الأرض ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

- يقول الله -تعالى- : ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [١] ويقول : ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [٢] ويقول : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ [٣] وأكبر الآلاء التي هي النعم ، ولذا قال تعالى بعده : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [٤] وما تضمنته هذه الآية الكريمة من امتنان الله -جل وعلا- على خلقه بوضع الأرض لهم بما فيها من المنافع ، وجعلها آية لهم ، دالة على كمال قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده ، جاء موضحا في آيات كثيرة من قرآنه كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [٦] وقوله تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [٧] وقوله تعالى :

---

(١) النازعات .
(٢) الرحمن.
(٣) النبأ.
(٤) الرحمن.
(٥) الرعد.
(٦) الملك.

(٧) النازعات.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ... ﴿٩﴾﴾ [٢] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة [٣] فهذه الآيات وغيرها كما تدل على وحدانية الإلوهية ، تدل على وحدانية الربوبية ، فنعتقد في الله تفرده بالخلق ، ووجوب إفراده بالعبادة ؛ لأنه مستحق بذاته للعبادة والتحميد والتنزيه والتمجيد ، ولما أنعم علينا من نعم لا تعد ولا تحصى ، وأخرج صاحبا الصحيح من طريق عُمَارة ، عن أبي زُرْعةَ ، عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال : قال الله -عز وجل- : "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة " [٤] والمستفاد من معاني آيتي دحو الأرض ، ووضعها للأنام ، وتمهيدها وإلقاء الجبال بها ، وتكوين بحارها ، وشق أنهارها ، وتفجير عيونها ، يتبين من أن بداية بر الأرض من تفجر قاع المحيط العامر بثورة بركانية عنيفة ، ظلت تلقي بالحمم التي تراكمت فوق بعضها البعض ، مكونة سلسلة جبلية في وسط هذا المحيط العامر على قمتها ؛ لتكون أول جزء من اليابسة على هيئة جزيرة بركانية تشبه العديد من الجزر البركانية المنتشرة في محيطات اليوم ، مثل جزر إندو وماليزيا ، وغيرها ، حتى تكونت قارة بانجيا الأم ، التي ظلت تتسع حتى صارت قارات خمس في العالم القديم ، ثم ظلت تتسع عن طريق تفجيرها بشبكة من الصدوع البركانية والخسوف الأرضية ، حتى وسعها الله إلى سبع قارات حاليا واللبيب يدرك التشابه في الانفجار ، والتكون شيئا فشيئا ، فيعي جيدا خطوط هذه البصمة وتطابقها ؛ لأنه يذكرنا بمراحل تكون البيضة الكونية شيئا فشيئا ، وفتقها

---

(١) الذريات.

(٢) ق.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي (١٠/ ٥٨) .

(٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه لمحمد ابن إسماعيل ، بن إبراهيم ، بن المغيرة ، البخاري ، أبي عبد الله ، تحقيق : محمد زهير ابن ناصر

الناصر (ط ١، نشر : دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ) (١٦١/٩) بَاب قَوْلِ اللَّهِ –

فتقا ظلت تتباعد بسببه المسافات ، وتنفصل فيه الملتصقات ، حتى صارت مجرات تحوي نجوما ضيئة ، وكواكب متلألئة ، وأقمارا نيرة ، وهو تشابه يدل على وحدانية الخالق ، ووحدة أسلوبه ، وأنه على كل شيء قدير . يقول النبي الكريم محددا موضعا من مواضع بدايات خلق اليابسة : " كانت الكعبةُ خُشْعَةً [١] على الماء فدحيت الأرض من تحتها " [٢] [٣] .

= تَعَالَى– : ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾–البروج– عن أبي هريرة –رضي الله عنه – برقم : ٧٥٥٩. وصحيح مسلم ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي (١٦٧١/٣) كتاب اللباس والزينة ٢٦ باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه ، وأن الملائكة – عليهم السلام– لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب ، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– برقم ٢١١١.

(١) الخُشْعة : أكَمَةٌ لاطِئَةٌ بالأرض والجمْع خُشَع . وقيل : هو ما غَلَبت عليه السُّهولة : أي ليس بحَجر ولا طين . غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد الرحمن ، بن علي ، بن محمد ، بن علي ، بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد ، بن جعفر ، تحقيق : د/عبد المعطي أمين قلعجي (الطبعة الأولى بيروت ، دار الكتب العلميـــة ، سنة ١٩٨٥م) (٩١/٢).

(٢) قال السيوطي في الدر: " وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني ، والبيهقي في الشعب عن ابن عمـــرو قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة ، وكان إذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء وكانت الأرض تحته كأنها حشفة [*] فدحيت الأرض من تحته " وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال : " إن الكعبة خلقت قبل الأرض بألفي سنة ، وهي من الأرض إنما كانت حشفة على الماء ، عليها ملكان من الملائكة يسبحان ، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها فجعلهـــا في وسط الأرض" (٦٧١/٣) .[*] قال الأزهري : يقال للجزيرة في البحر لا يعلوها المـــاء خَشَفَةٌ ، وجمعها : خِشَافٌ ، وذكرها الخَطَّابي أيضاً ، وقال : هي واحدة الخَشْف ، وهي حجارة تَنْبُتُ في الأرضِ نَبَاتاً " غريب الحديث ، لأبي الفرج ، عبد الرحمن ، بن الجوزي (٢٧٩/١) وقال الخطابي : الحشفة واحدة الحشف ، وهي حجارة تنبت في البحر نباتا . غريب الحديث ، لحمد ، بن محمد ، بن إبراهيم ، الخطابي ، البستي ، أبي سليمان ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم ، العزباوي (نشر : السعودية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، سنة ١٤٠٢هـ) (٤٩٥/٢) قلت : وهو نفس الأسلوب في خلق الأحياء ، فالله تعالى ينشئهم من ذرات تتجمع وتكثر حتى يكون بها خلية واحدة ، فيتركها على هيئتها ، كالأحياء وحيدة الخلية ، أو ينميها ، فالإنسان مثلا يبدأ من خلية حية مختلطة تتكاثر حتى تصير إنسانا سميعا بصيرا عاقلا ، وهكذا سائر الأحياء متكاثرة الخلايا.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ الدكتور : زغلول النجار (ط ٥ ، مصر ، مكتبة نهضة مصر ، يناير الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم ، سنة ٢٠٠٤م) (٢/٤١ ، ٤٢).

يقول البروفيسور بلاكيت أستاذ الطبيعة بالكلية الملكية بلندن : " إن دراسة أحجار الهند تبين أنها كانت توجد في جنوب خط الاستواء قبل سبعين مليون سنـــة ، وهكذا تثبت دراسة جبال جنوب إفريقيا أن القارة الإفريقية انشقت عن القطب الجنوبي قبل ثلاثمائة مليون سنة ".

ومما يؤكد هذا التشابه ، أنه بتشابه الحفريات الموجودة في ساحل غرب إفريقيا مع حفريات شرق أمريكا الجنوبية- يمكن معرفة أماكن تواجد بعض الثروات المعدنية وزيت البترول ، والغازات الطبيعية ، من خلال دراسة الحفريات حيث إنها تكونت من تحلل بقايا الكائنات ، والنباتات البحرية ، التي كانت تعيش في مياه البحار القديمة منذ ملايين السنين- [١] فضلا عن أن الشكل الخارجي ، وحافة الساحل ، لكل من القارتين ، يمكن أن يلتصق تماما بمقابله وقرينه ، ومن هنا نقول : إن نظرية انتشار وتباعد القارات التي أعلنها العالم الألماني ألفريد واجنر عام ١٩١٥م صحيحة ، فإن واجنر ، أكد أن جميع القارات كانت في زمن من الأزمان السحيقة متصلة ، ثم انفصلت ، بدليل أن القارات لو تقاربت من بعضها البعض ، لتمـــاسكت واتصلت ، وفحوى نظرية ألفريد أن القارات تفرقت وانتشرت من تلقاء نفسها ، ثم ظهرت في مظهرها التي هي عليه الآن ، على هيئة قارات تفصلها بحار ومحيطات

كما دفع البروفيسور رونالد جود عالم النبات ، بأنه توجد نباتات متماثلة في مختلف قارات العالم ، ترجع إلى عصر جيولوجي واحد ، وعمر زمني واحد ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأن الأرض كانت متصلة ببعضها البعض اتصالا كاملا قبل ذلك في وقت من الأوقات ، وقدر العلماء ذلك بأنه كان منذ نحو ثلاثمائة مليون سنة [٢] .

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام ، لمحمد ، كامل ، عبد الصمد (ط ٥ ، مصر ولبنان ، الدار المصرية اللبنانية- ١٦ ش عبد الخالق ثروت بالقاهرة ، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) صفحة (٩٠، ٩١) بترتيب مختلف واختصار.

(٣) الإعجاز الكوني في القرآن ، تأليف الدكتور : السيد الجميلي (ط ١ ، القاهرة ، دار

زاهد القدسي ٣٤ ش طلعت حرب ، سنة ١٩٨٨م) صفحة (٢٣، ٣٤) باختصار.

يقول الله –تعالى– : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (١) والمعنى تناثرت البيضة الكونية الأولى للسماء والأرض بدقة وإحكام ، وهو دقيق في انطباقه على فتق السماء بالماء ، والأرض بالنبات عندما نزل عليها المطر –وهو قول ابن عباس –رضي الله عنهما– حيث كان الماء فوق قشرة الأرض جليدا ، ومكث زمنا حتى دحيت الأرض وارتفع الماء ، وأنبتت الأرض ، وهو أيضا دقيق في التعبير عن فتق القارات السبع من القارة الأم الأولى ، فسبحان ربي الذي أرسل رسوله بلسان قومه ، وجعل القرآن عربيا ، لعلنا نعقل سعة علمة ، وسبق إرادته .

فنشأة العالم من قارة واحدة ، دليل على وحدانية الله العليم الخبير ، كما يدل اتساع القارات على وحدانية الله ، من خلال انقسامها إلى سبع قارات ، أو سبع أراضين ، كما أن سماوات الملائكة سبعة ، فقول الله –تعالى– : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴿١٢﴾﴾ (٢) عام في الخلق ، بمعنى أن الله قصد الإخبار بأنه خلق الغلاف الجوي للأرض سبع سماوات ، فالسماء كل ما علا وارتفع ، لذلك خلق الله الشمس التي تعلونا سبع طبقات ، وخلق سماوات الملائكة سبعا ، وخلق قارات القشرة الأرضية سبع قارات ، وطبقات الأرض السفلى التي تبدأ بالقشرة سبع أراضين .

–يقول الله : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ (٣) ويقول الخازن : " وقوله –تعالى– : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي الذي ذكر من هذه الأشياء ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ (٣) أي دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله

---

(١) الأنبياء.

(٢) الطلاق.

(٣) النور.

وتوحيده " [1].

كما أن دحو الأرض عمل لا يدعي أحد من البشر القيام به ، فلا ريب أنها يد الله وقدرته المطلقة ، يقول سيد قطب : " طحو الأرض أو دحوها كما قال في الآية الأخرى : ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [2] وهو أكبر هذه الخصائص والموافقات ، ويد الله وحدها هي التي تولت هذا الأمر ، فحين يذكر هنا بطحو الأرض ، فإنما يذكر بهذه اليد التي وراءه ، ويلمس القلب البشري هذه اللمسة للتدبر والذكرى " [3].

المطلب الثاني : كروية الأرض والأجرام السماوية ، ودلالتها على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول الله -تعالى- : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [4] ومن الآية نستنبط كروية الأرض ، وغيرها من الكواكب ، وهو يشير إلى أن وحدة الشكل الكروي في الكواكب يدل على وحدانية مكورها ومكوكبها وحتى النجوم تتخذ في النهاية شكلا كرويا ، فالكون متكور ، وكذلك جميع الأجرام فيه ، مما يدل على وحدانية مكوره ، يقول النبي - ﷺ- منبها على هذه الحقيقة : " إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ " [5] ففيه إشارة إلى استدارة الكتلة التي فتق الله منها النجوم والكواكب واستدارة أجرام الكون بعد فتقها هذه الكتلة ، بحيث إنها صارت متباعدة بشكل

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين ، علي ، بن محمد ، البغدادي الشهير بالخازن (ط مصر ، مطبعة التقدم العلمية ، شارع الكحكيين ، قريبا من الساحة الأزهرية سنة ١٣٤٩هـ) (٦٩/٥).

(٢) النازعات.

(٣) في ظلال القرآن(ط١، القاهرة ، دار الشروق ، ٨ شارع سيبويه ، رابعة ، ١٤٢٣هـ (٣٩١٧/٦).

(٤) الزمر من الآية (٣٩).

(٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ-وسننه وأيامه ، لمحمد ، بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (١٠٠/٧) عن أبي بكرة ، ومسلم (١٣٠٥/٣) عن أبي بكرة.

مستدير ، أو منحني على وجه العموم ، لأن بعضها يتخذ شكلا مستديرا غير منتظم واستدارة الزمان تشير لاستدارة الكون ، وجميع الأجرام ، وحركتها فيه عبر تاريخه القديم [١] ولو كان للكون خالقون متعددون ، لتباينت أشكال الكواكب ، ولو قلت : لو حدث وتباينت أشكال الكواكب ، فهذا مثلث الشكل ، وذاك مربع الشكل ، وذياك شبه كروي الشكل ، ألا يدل ذلك أيضا على إبداع خالق واحد ؟ فالجواب هو أنه لو كان الخالقون متعددون ، فإن الأثر المتسبب عن اختلاف الإرادات ، ليس تباين أشكال الكواكب فحسب ، بل تغير أشكالها كل يوم تدور فيه الأرض حول نفسها دورة كاملة أمام الشمس ، أو كل شهر يطوف فيه القمر حـــول الأرض ، أو كل سنة تطوف فيها الأرض حول الشمس ، وعدم حدوث شيء من ذلك ، دليل ساطع وبرهان قاطع ، على وحدانية الخالق الجامع ، يقول الشاعر :

عرفتك ما لاح نـور ونـار .. ومهما يدر كوكب في مـدار
عرفتك مهما الزمان استدار .. ومهما أتى الليل بعد النهـار
بأنك أنت الإلـه الأحـد .. وأنك أنت العظيم الصمد [٢]

المطلب الثالث : الجاذبية الأرضية ، ودلالتها على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

-قدر الله للجاذبية أن تمتد من الذرة إلى أقاصي الكون ؛ لكي تقوم بوظيفة توازن الأجرام السماوية في مداراتها ، وضمن حركاتها المعقدة [٣].

يقول الله -تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴿١٨﴾﴾ [٤] والجاذبية داخلة ضمن

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ الدكتور : زغلول ، النجار (٢/٥٠).

(٢) رائق الشهد ، لسيد ، بن حسين ، العفاني (ط ١ ، نشر مكتبة معاذ بن جبل ، سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) صفحة (٤٣٠) نقلا عن ديوان آمن بالله ، لعبد الرحمن حنبلة ، الميداني (ط ، بيروت ، دار العلم).

(٣) الذرة تسبح لله ، للكاتب التركي أميد شمشك (ط ، القاهرة ، دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع ترجمه عن التركية : أورخان محمد علي ١٦ شارع كامل صدق الفجالة) صفحة (٨).

(٤) المؤمنون.

أسباب نزول الماء ، ويقول : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ...﴿٢٥﴾﴾ [١] ويقول : ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [٢] ولولا الجاذبية التي أودعها الله في الأرض لتاهت النيازك في الفضاء الفسيح بعيدا ، فمراد الله من هذه الآيات ، إفهامنا أنه هو الذي خلق الجاذبية ، وقدرها وصرفها كيف يشاء .

ويقول الله -تعالى- : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [٣] فمستوى أرضية النهر أعلى من مستوى البحر الخضم ، حتى لا يطغى على النهر ، فلا يستطيع البحر أن يصعد ضد الجاذبية ليطغى على النهر ، فالبرزخ هنا هو الجاذبية ، ويقول -تعالى- : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٤] وأبواب السماء هي مناطق ليس فيها حقول جاذبية ، ومطلع الآيات من سورة الحجر يقول : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [٥] أي موحدين بالله ربا ومعبودا لا شريك له والآية التي بعدها تقول : ﴿لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[٨] يقول ابن الجوزي في تفسيرها : " والثاني : أنهم المشركون ، قاله الحسن ، وقتادة فيكون المعنى لو وصلناهم إلى صعود السماء ، لم يستشعروا إلا الكفر ؛ لعنادهم " [٩] فبعدما رد الله على إنكارهم النبوة ، وهي مفرعة على التوحيد ، شرع في إيراد

---

(٣) الحديد.

(٤) الطور.

(٥) الفرقان.

(٦) الحجر.

(٧) الحجر.

(٨) الحجر.

(٩) زاد المسير ، لعبد الرحمن ، بن علي ، بن محمد ، الجوزي (ط ٣ ، بيروت ، المكتب الإسلامي) (٣٨٦/٤).

دلائل وحدانيته ، فقال : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [١] ففتح باب السماء إشارة دالة على تيسير حسن استدلالهم على طرق وأبواب خالية من حقول الجاذبية الأرضية حتى يمكنهم الصعود في السماء ، والنظر في عجائب الملكوت ، فالآية دالة على وحدانية الله ؛ لأن نظام الجاذبية عام للكون من الذرة إلى المجرة ، ودال بعموميته على وحدانية الله ، ويقول الله -تعالى- : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [٢] يصف الطرق التي تسير عليها النجوم في هيئة نسيج محبوك كحبك النساج ، أو شعر معقود ، أو منظر ماء ضربته الريح ، أو رمل ضربته الريح ، وهو يعطي منظر الشبكة وإنما تنتظم النجوم على تلك الطرق ، وفي مداراتها بالجاذبية ، كما يمكن أن يراد بهذه الطرق حقول الجاذبية التي تبتعد عنها السفن ، والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية ، وبما أن الله يقول بعدها : ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [٣] {فعلى جعل الخطاب للناس أجمعين ، فالله يقسم على أن الناس مختلفين في إيمانهم بوحدانيته ، وكفرهم بها ، وعلى جعل الخطاب للكافرين ، فالمعنى أن عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره} [٤] فقولهم مختلف ومتناقض مع عملهم ، وقسم الله بالجاذبية التي حبك بها نجوم السماء ووزع طرقها ، ونسج بناءها ، ونظم أفلاكها ، مع ارتباطه بالمقسم عليه وهو اختلاف الناس في توحيده وعبادة المشركين للأصنام من دونه ، واضح مفهوم معناه في استدلال الله على وحدانيته بقانون الجاذبية ، الذي حبك به سمك السماء وبنائها ، وربط بين أجرامها

---

(١) الحجر

(٢) الذاريات.

(٣) الذاريات.

(٤) زاد المسير ، لابن الجوزي (٣٨٥/٤) بتصرف وزيادة .

على نحو منتظم مستقر ، مما يدل على بطلان عبادة غيره ، فلو كان معه شريك لعطل قانون الحبك ، ولزالت السماوات والأرض .

ويقول -تعالى- : ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾

[1] فتفسير اللام على أنها بمعنى انتهاء الغاية ، إشارة إلى سعيها لإكمال دورتها المفروض عليها إكمالها حول مركز المجرة ، بسبب قوة جذب المركز لها ، مع قوة الطرد المركزي فيها ، وهذا هو سر استقرارها ، واستقرار وتوازن مجرة درب التبانة جميعها ، فتوازنها واستقرارها راجع إلى دوران كل نجم في فلكه ، ويراد بالشمس جنس الشموس ، ويقول ابن كثير في تفسير قول الله : " ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [1] أي : الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ، ولا يخالف العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء " [2] . فلو كان مع الله شريك ، لمانعه من استمرار قانون الجاذبية ، وغالبه عليه لقهره والاستيلاء على ملكه ، كما أن هذا الفرض يشهد علم الكون بضده ، فالكون دال على أن خالقه قد أحاط بكل شيء علما ، فمن الذي يمكنه أن يخالفه ، وهو لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وهو يحكم لا معقب لحكمه .

ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآية : " . . والتأمل في توالي الليل والنهار ، وفي حركة الشمس والقمر ، بهذه الدقة التي لا تختل مرة ؛ وبهذا الاطراد الذي لا يكف لحظة . . جدير بأن يهدي القلب إلى وحدة الناموس ، ووحدة الإرادة ، ووحدة الخـــالق المدبر القدير " [3] ويقول في موضع آخر : " وإنما نظم الله ذلك بقانونه قانون الجاذبية ، فالآية دالة على وحدانية الله من خلال رصد صور لآثار الانتظام في الجري ، والناجم عما أودع في الأجرام الجارية من الجاذبية المحكمة التقـــدير

---

(١) سورة يس.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (دار طيبة)(٣/٣٠٥).

(٣) في ظلال القرآن ، للعلامة سيد قطب (٤/٢٣٧٧).

والنسج ، والحبك " [1] .

ويقول -تعالى- : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [2] فلولا وجود الجبال بهذه الكثرة ، لكانت الزلازل أشد عنفا ، لتثبيتها لقشرة الأرض بثقلها وحجزها بين ألواحها ، وإنما كان لثقلها دور كبير ، لأن السبب الأكبر في ذلك هو جذب قلب الأرض لها ، وهنا ألمح وجود ارتباط سببي بين زوال الجبال يوم القيامة واستوائها بالأرض ، وزلزلة الأرض زلزالها ، وإخراجها أثقالها ومدها ، كما قال -تعالى- : ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [3] فإذا مدت الأرض ضعفت جاذبيتها ، وتخلت عما في بطانها الأمر الذي يؤدي لابتعاد قشرة الأرض وتمايزها عما تحتها بما يستقر فيها وفوقها من الجبال ، والمعـــادن والزيوت ، وغيرها ، فتدك دكدة واحدة ، كما قال -تعالى- : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [4]. فنظام الجاذبية نظام عام في الكون يربط بين مكونات الذرة التي هي أصغر صورة من صور المادة ، إلى أكبر تجمع مجري في الكون ؛ ثم إلى مركز أو وسط الكون ، مما يدل على وحدانية من صبغ الكون بنظام الجاذبية ، من أصغر جرم فيه ، إلى أكبر جرم ، فعمومية الظاهرة ، دالة على عمومية القرار ، لأن الواقع المادي المشاهد ، أثبت نفاذها دون مظهر من مظاهر المغالبة والنزاع ، وذلك دال بدوره على وحدانية الله المظهر المقرر المنفذ .

---

(١) المرجع السابق (٦/٢٠٣).

(٢) النازعات.

(٣) الانشقاق.

(٤) الحاقة.

المبحث الثالث

التوازن الطبقي في توزيع الجبال ، ومراكز الزلازل ، وكثافة الطبقات الأرضية كلما زاد عمقها ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على المطالب الآتية :

المطلب الأول : التوازن الطبقي في توزيع الجبال ، ومراكز الزلازل ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول الله تعالى- : ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ (١) هنا ألصق الله الحديث عن الزلازل التي ترج الأرض رجا ، ببث الجبال بثا لأن هناك علاقة بين الزلازل والجبال ، كما قال -تعالى- : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ (٢) فربط بين الرواسي الشامخات ، وإسقائه الماء العذب الفرات ، حيث تبين كثرة وجود البحيرات العذبة على مقربة من الجبال ، وإن التطابق الكامل ما بين المناطق التي تحدث فيها الزلازل (أحزمة الزلازل) وتلك التي تكثر فيها الأنشطة البركانية (أحزمة النار) تطابق ثابت ، مما يؤكد وجود علاقة لا تشوبها شائبة بين الزلزلة والانفجارات البركانية ، فتوزيع الزلازل يتبع نمطا معينا ، وليس عشوائيا فهناك مناطق تخلو منها تماما مثل الصحراء الكبرى وهناك مناطق تتركز فيها مثل اليابان ، وإندونيسيا ، والساحل الغربي لأمريكا الجنوبية ، وكذلك توزيع الأنشطة البركانية ليس عشوائيا ، كما أثبتته الخرائط ، بل يتبع نمطا معينا ، فهناك أماكن تخلو منه كالصحراء الكبرى ، ومناطق تكثر فيها مثل اليابان ، وإندونيسيا ، والساحل الغربي لأمريكا الجنوبية وهو ما عبر عنه القرآن بقول الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ (٣)

---

(١) الواقعة.

(٢) المرسلات .

(٣) الزلزلة.

فأولا : عبر عن ظهور الأثقال على سطح القشرة بالأثقال ، وقد ثبت علميا أنه كلما تعمقنا في الأرض ، زادت كثافة طبقاتها السبع طبقة عن طبقة لتتمكن من حملها فهي في السطح ٥، ٢ وتزيد هذه القيمة تدريجيا لتصل إلى حوالي ٥، ٣ في الوشاح على عمق يبدأ من حوالي ٦٠ كم إلى حوالي ٢٩٠٠ كم ، ثم يصل الثقل النوعي إلى حوالي ١٢ في لب الأرض الذي يمتد لمسافة ٣٠٠ كم أخرى حتى مركز الأرض .

وثانيا : ربط سبحانه بين الزلازل والبراكين ، أو الأثقال التي تخرج منها [١] . وهذا التوزيع التوازني للجبال ، والبراكين ، وأحزمة الزلازل ، والتوزيع التثاقلي التماثلي ، دليل على موزع واحد لا شـــريك له فيما يفعل ، ويهندس ويقدر ، فلا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون.

المطلب الثاني : التوازن الطبقي في توزيع الجبال ، واليابس والماء ، وكثافة الطبقات الموزعة تحت الجبال والمحيطات كثافة تحفظ تـــوازن الأرض ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول الله : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [٢] ويقول : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [٣] ومن قول الله نستبين أن توزيع الأوزان على الأرض ، دليل على وجود موزع واحد ، أقر هذه الأوزان على النحو الموزون ، والمقدر المحسوب ، فالجبال موزعة على محور دوران الأرض حتى لا تميد ، وأوزان الجبال موزعة ، فلم يلق الله الجبال ، بحيث تكون مادتها جميعا فوق القشرة

---

(١) الموســوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية ، للعالم الدكتور : أحمد مصطفي (ط١ مصر دار بن الجوزي ، ٢٢ درب ، الأتراك خلف الجامع الأزهر ، سنة ١٤٢٦هـ) صفحة (٢٥٤، ٢٥٥) باختصار نقلا عن مقال للدكتور : أحمد حسين حشاد ، الأستاذ بهيئة الموارد النووية .

(٢) سورة النبأ.

(٣) النحل.

الأرضية ، وإلا أدى ذلك إلى أن تميد القشرة ، أو تتصدع ، بل جعــل لها جذورا ممتدة في بــاطن الأرض ، حتى تطفو فوق منطقة الضعف الأرضي ، وهي أضعاف مضاعفة لما يظهر من الجبل فوق الأرض ، كما جعل ﷻ كثافة هذه الارتفاعات الجبلية وجذورها أقل كثافة من القشرة المحيطة بها ، وحتى يتوزع الضغط الثقلي لوزن الجبل على القشرة العميقة ، بحيث يكون متساويا في جميع أنحائها ، فلا تميد أو تتصدع ؛ لأن التوزيع التماثلي للأثقال على سطح كروي يكاد لا يحدث تأثيرا يذكر . وقد أثبت علم الجيولوجيا أن توزيع اليابس والماء على الأرض ، ووجود سلاسل الجبال عليها ، مما يحقق الوضع المتوازن الذي عليه الأرض ، وثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة خفيفة ، وأن تحت ماء المحيطات توجد المواد الثقيلة ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف أجزاء الكرة الأرضية وهذا التوزيع الذي أساسه الجبال قصد به حفظ توازن الكرة الأرضية [١] (والحقيقة العلمية تشمل أيضا اتزان القارات مع أحواض المحيطات ، حيث يتم التوازن الرأسي بين الكتل الضخمة البارزة مثل الجبال العالية ، وبين ما يحيط بها من وديان ممتدة ، وكذلك التوازن الرأسي بين القارات ، وأحواض المحيطات حيث تبرز القارات فوق مستوى البحر ؛ لأن القارات تتكون من قوالب ، أو ألواح من المادة القشرية تطفو على الصخور الثقيلة اللينة للرداء ، وتتوازن في نفس الوقت مع الصخور الأكبر كثافة التي تغطي قيعان المحيطات [٢] .

المطلب الثالث : توازن كثافة طبقات الأرض عمقيا ، ودلالته على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول ﷻ-تعالى- : ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [٣] إلى أن يقول :

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع ﷻ في السماء ، للأستاذ سعيد صلاح الفيومي (ط ١ ، عابدين القاهرة ، ٧٤ ش البستان ، مركز التوزيع ٢ درب الأتراك ، خلف الجامع الأزهر ، سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) صفحة (٦٦) بتصرف.

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث ، للدكتور/منصور محمد حسب النبي ، صفحة (٤٤).

(٣) الرحمن .

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ [1] يقول ابن كثير : " أي : كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها ، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ، لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها. قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتـــادة وابن زيد : الأنام : الخلق " [2] قلت : فقول الله : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوف على ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ والتعبير بكلمة ﴿وَضَعَهَا﴾ في جانب الأرض إشارة إلى أنه سبحانه كما رفع السماء بالميزان ومهدها للملائكة الكرام ، وضع الأرض بالميزان ، ومهدها فراشا للأنام ، لأنه قال في جانب السماء ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧﴾ كما أنه بين خبره عن الجانبين أشار إلى وجوب إجراء سنته في المعاملات اقتداء بسنته في خلقه قائلا : ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ [3] أي أقيموا ميزان العدل والإنصاف في معاملاتكم ، وتخلقوا بصفات ربكم الذي خلق السماوات مرفوعة بالميزان العادل المنصف بين الماديات في التزاوج ، والمقادير ، والقوى الكهربائية ، والجذبية ، والشكلية ، والتدريجية ، وغيرها والذي خلق الأرض ووضعها لكم بالميزان ، فجعلها متزنة في جميع ما بها من مادة الخلق ، ثم قرر الله ما سبق من وضع الأرض بالميزان ، لجميع للأنام.

والآية تشير إلى أن الله كما يحفظ رفع السماء ، يحفظ وضع الأرض للأنام ، فجعل لها طبقات حافظة بعضها فوق بعض ، فكل طبقة تحفظ ما فيها عما يعلوها ابتداء بقلب الأرض الجهنمي ، ولبها السعيري ، وانتهاء بجلدها السطحي ، وأعلاها الفوقي ، قشرة الأرض ، التي أرساها بالجبال ، ووزعها بعدل وإحكام ، وتوازن وميزان ، فوازن بين الماء السائل على هيئة بحار ومحيطات بحرية ، وبين مادة

---

(١) الرحمن.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤٩٠/٧).

(٣) الرحمن.

القارات الجامدة على هيئة ألواح قشرية تطفو فوق المنطقة الصخرية اللدنة المنصهرة في باطن الأرض ، وذلك ليحفظ الله بنظام قشرة الأرض ، وعدالته وتوازنه من على تلك القشرة ، أن يطغى عليه ما تحتها ، فيجعلها تميد وتضطرب بمن فوقها ، وتهلك الحياة والأحياء فالله تعالى جعل التوازن والحفظ في قشرة الأرض ، وجعل في فاكهتها ذلك ، فهي محفوظة في أغلفتها من هجوم الميكروبات والطفيليات ، ومن ليست له برزق توازنا وعدالة بين المخلوقات في الرزق ، فتلك بصمة حفظ واضحة دالة على حافظ واحد لا شريك له .

-ويقول الله : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ (١) ويقول : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ (٢) ويقول : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ... ﴿١٢﴾﴾ (٣) وإذا كانت الأرض مثل السماوات فهي مثلها في كونها قد بنيت تحتنا سبعا طباقا شدادا ، ويؤيد ذلك قول الله – تعالى- : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ (٤) والأرض مثل السماء في وضعها بالميزان المقدور ، وعدم التفاوت في خلقها أو الفطور ، وإن التوازن في الكثافة عمقيا في طبقات الأرض ، دليل على منظم واحد عجيب القدرة ، بالغ الحكمة يذهل العقل من دقته في الخلق والتقدير (فالجليد أقل كثافة من الماء الذي يحمله ، وطبقة السيال أقل كثافة من السيما ، فإن علا الماء جبل الجليد جعل الله له امتدادا تحت الماء يساعده على العوم ، ويدفعه ، والجبال الصخرية جعل الله لها جذورا تساعدها على العوم فوق منطقة بحر طيني تعرف بمنطقة الضعف الأرضي الصخرية الشبه منصهرة(السائلة) اللزجة الشديدة الكثافة ومن العجيب في توازن هذه الجبال ، أنها تغوص بمقدار يتناسب طردا مع ارتفاعها

---

(١) نوح.
(٢) الملك .
(٣) الطلاق.
(٤) النبأ.

وعلوها (فلو أتيت بمكعبات خشبية متفاوتة الأطوال ، وجعلتها تعوم في حوض ماء

مليء بالماء ، فإنها ستغوص في الماء ، وستجد أن مقدار هذا الغوص يتناسب طردا مع ارتفاع وعلو المكعبات ، وهذا ما يسمى الآن حالة التوازن الهيدروستاتي) [١] وكأن يدا قد نحتتها وصنعتها بالمقاس ، والوزن ، والكثافة المناسبة ، فلا ريب أنها نفس اليد التي بنت السماء سبعا شدادا يقول –تعالى– : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ...﴿٤٧﴾﴾ [٢] ويقول : ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [٣]. ويقول الدكتور منصور حسب النبي : " دلت القياسات المنتجة من دراسة أمواج الزلازل أن باطن الأرض أكبر كثافة من سطحها ". ويقول : " يؤكد علماء الجيولوجيا على توازن الجبال على الأرض بظاهرة تدعى الاتزان الأيسوستاتيكي ، أي طفو الكتل القارية ، والجبال الأقل كثافة على طبقة أكبر كثافة في باطن الأرض ، تماما كالسفن الراسية وهذا التوازن الأيسوستاتيكي أثبت طبقا للأبحاث الجيولوجية ، والتجارب الجيوفيزيائية ، أن الجبال تطفو بواسطة جذورها (الأقل كثافة) المغمورة في رداء الأرض اللين (الأكبر كثافة) تحت القشرة مباشرة " [٤] . ويقول ابن كثير : " أي : كما رفع السماء ، وضع الأرض ومهدها ، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم ، وأشكالهم وألوانهم ، وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها " .[٥] ويقول الدكتور منصور حسب النبي: " أدت الدراسات السيسمولوجية الحديث للزلازل إلى الاستنتاج بأن باطن الأرض يحتوي في المركز على حديد في حالة صلبة ، رغم درجة الحرارة العالية (٤٠٠٠م) وذلك لارتفاع الضغط ، ويوجد حول الحديد الصلب طبقة أخرى

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، تأليف شريف كمال عزب (ط ١ القاهرة ، دار التقوى ، ٨ شارع زكي عبد العاطي ، عرب جسر السويس ، سنة ١٤٢٥هـ) صفحتا (٨٤ ٨٦)

(٢) الذاريات.

(٣) النبأ.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤٩٠/٧).

(٥) القرآن الكريم والعلم الحديث للدكتور / منصور محمد حسب النبي ، صفحة (٤٠، ٤٤).

سميكة من الحديد السائل ، تليها طبقة سميكة من صخور كثيفة لينة تدعى الغلاف أو

الرداء ، تليها طبقة سطحية صخرية رقيقة نسبيا تدعى القشرة ، وهي الطبقة التي نعيش عليها ، وبهذا فإن الطبقات الداخلية للأرض أكبر كثافة من الطبقات السطحية وهذه الحقيقة ربما تشير إلى معنى الآية القرآنية التالية ﴿...وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ...﴿٢٥﴾﴾ [1] [2] وتشير إلى قول الله في سورة الزلزلة : ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ [3] فكلما كان مكان الخروج أعمق كان الثقل أكبر والآية بسورة الرحمن تشير إلى أن الله هو الذي رفع بناء السماء وما تحتها من أجرام عند خلقها ، بحيث تكون بعيدة عن الخلق البشري بالأرض ، ووضع الميزان والتوازن في خلقه وتقديره لما خلق وقدر في السماء والأرض ، دون أن يشرك في رفعه للسماء ووزنه لما يخلق من مادتها وأجرامها أحدا ، وآية سورة الطلاق تشير إلى خلق الله من الأرض سبع طبقات ، كما خلق من السماوات العلى سبع سماوات ومن مفهوم الآيتين نستطيع القول بأن خلق الأرض سبع طبقات ، كان بنفس الميزان الذي وضع الله عليه ، وأسس عليه خلق السماوات وما بينها ، وما تحتها من أجرام الدنيا ، وذلك بعدما رفعها ، ولما كان الميزان يعني التوازن ، أو العدالة ، أو التسوية ، فإننا نجد الله يقول : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [4]. ويقول : ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [5] فالله رفع السماء بالمـــيزان ووضع الأرض ووطأها للأنام ، بالعدل والميزان ، فتخلقوا أنتم بصفات الله ، ولا تظالموا ، وتنبهوا على أن خلق كل شيء بميزان ، دليل على وحدانية الملك الديان .

---

(١) الحديد.

(٢) المرجع السابق ، للدكتور : منصور محمد حسبي النبي ، صفحة (٢٥) ، (٥٨).

(٣) الزلزلة.

(٤) النازعات.

(٥) الرحمن.

المبحث الرابع
التوازن الطبقي والجوي للأرض ووحدة مصدر انبثاق الماء وقانون الانقراض ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على المطالب الآتية :

المطلب الأول : التوازن الطبقي والجوي للأرض ، ودلالته على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

-يقول الله -تعالى- : ﴿...مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ (١) ويقول : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

(٢) ويقول : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...۝١٢﴾ (٣) إن تقابل التوازن في الخلق دليل على وحدانية الله ، فنحن كلما هبطنا في باطن الأرض ، وجدنا الكثافة تزيد ، فالطبقات السفلى تحمل الطبقات العليا ، وهذا خلق حكيم ، وأما الهواء فكلما صعدنا فيه تقل كثافته ، لأنه يحتاج إليه البشر وهم فوق سطح أخف قشرة أرضية ، فمن ثم كان بالمقدار الذي يناسبهم ، فكان كثيفا وكلما ابتعد الهواء عنهم ، قلت كثافته ، عكس طبقات القشرة الأرضية ، وعدد طبقات القشرة الأرضية سبعا ، وعدد طبقات الغلاف الجوي سبعا ، وهذه كلها فنيات دقيقة ذات ملامح واحدة دالة على أن مهندس بنائها واحد ، لم يشترك معه آخر في خلقه وتقديره ، ووزنه وتصويره.

المطلب الثاني : وحدة مصدر انبثاق الماء ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

---

(١) الملك.

(٢) الرعد.

(٣) سورة الطلاق.

- يقول الله - تعالى- : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١﴾ [1]. ومن الآية نستنبط أن انبثاق جميع المياه من مصدر واحد هو جوف الأرض يدل على وحدانية الواحد.

المطلب الثالث : تناسق قانون الانقراض منذ وجد البشر ، ودلالته على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول الله : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾ [1] ويقول : ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ۝٤٥﴾ [2].

ونستنبط من الآيتين أنه منذ أراد الله جعل خليفة في الأرض بدأ بتمهيد الأرض ودحوها ، وإرساء جبالها ، وإنزال مطرها ، وإنبات نباتها ، وخلق دوابها ليجعل في كل ذلك متاعا للبشر ولأنعامهم ، فلم يسلط عليها ما يناقض ذلك من الحوادث التي أهلكت من قبلهم ، كالديناصورات وغيرها ، فوجود البشر والحيوانات ، وجميع الأحياء ، إنما هو بقوانين واحدة للحياة ، فمنذ أوجد الله البشر ، لم يهلك جنسا ما بالذات هلاكا كليا طفرة واحـــدة ، مع بقاء جميع المخلوقات غيره ، وهو ما يمثل لنا دليلا على وحدانية الخالق ، ولو كـــان لله شريك ، لتدخل الشريك له لقهره ، وتفرده بملكـــه ، ولأهلك لـــه كل يوم جنسا ، فنجد مثلا جنس السباع ينعدم فجأة ، أو يذهب الشريك به إلى نجم وكوكب آخر ، لينفرد بتدبيره لما خلق من رزق ، وإحياء وإماتة ، أو لفوجئنا بموته ، أو تحوله إلى حجارة ، أو حديد مثلا ، ولوجدنا أصنافا من النباتات تنعدم فجأة كل يوم ، أو تتحول لعناصر أخرى .

---

(١) النازعات.

(٢) النحل.

المبحث الخامس
شكل صدوع الأرض ، وقدم تضاريسها ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

-يقول ﷲ تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ وفي آخر السورة يقول : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [1] وكيدهم هو سعيهم في إطفاء نور ﷲ الممثل في حجج القرآن ودلائله على ما ورد فيه من حقائق ، والتي منها وحدانية ﷲ -ﷻ- ومنها ما سبق وروده بهذه السورة سورة الطارق ، واعلم أن الألواح الصخرية تتكون من صخور نارية ورسوبية ومتحولة فالمواد التي تتكون منها واحدة لا يزيد لوح عن الآخر في مكوناته (اتحاد المواد المكونة في الأساس).

وامتداد هذه الألواح لا يترك شيئا من الأرض ، بل يعمه ، فقانون مده واحـــد ، لا تجد فيه فطورا ولا قصورا ، وهو يدل بهذا على وحدانية ﷲ الذي مد الأرض .

وصدوع الأرض كذلك تمتد لعشرات الآلاف من الكيلو مترات ، لتحيط بالأرض إحاطة كاملة ، فقانون نشرها واحد ، وكأنها صدع واحد ، ليدل على وحدانية الواحد فسبحان الواحد القائل : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [1] [2].

وثمة صدعان ورد خبرهما في القرآن أحدهما من ضربة جبريل -عليه السلام- وهو يحتاج لبحث لإثبات اختلافه عن الصدوع الأرضية الأخرى ، وهو الصدع التي حدث للصخور التي منها يتسلسل الماء إلى زمزم بمكة المكرمة ، حيث قال الرسول

---

(١) الطارق.

(٢) من آيات الإعجاز العلمي – النبات في القــرآن الكريم- للأستاذ الدكتور : زغلول النجــار ط٢ القاهرة ، ٩ شارع السعادة ، أبراج عثمان ، روكسي ، سنة ١٤٢٦- ٢٠٠٥م) (٥/٧٩ ٨٠) بتصرف يسير واختصار. لم يكن ما فسره المفسرون قديما بمتوافق مع هذه الحقيقة العلمية التي اكتشفت حديثا ، ومن ثم أقول أحصى الماوردي خمسة أقوال ليست براجحة (٦/٢٤٩).

: " هزمة جبريل " [1] وصدع عيون موسى بخليج السويس[2] والذي انصدع عندما ضربه موسى -عليه السلام- بالعصا ، يقول الله -تعالى- : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا..﴿٦٠﴾﴾ [3] والغالب على الظن أنه كغيره من الصدوع ؛ لأن الفعل يصدر من فاعل واحد ، وهو الله خالق أفعال العباد ، ومن ثم سيأتي متفقا . يقول الله : ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴿٦٣﴾﴾ [4] ووجود صدع واحد هو الصدع الأكبر امتدادا على الكرة الأرضية بمثابة بصمة دالة على تفرد الله بالخلق ، كما يتفرد هذا الصدع بأنه أكبر الصدوع ، فما يقبل العقل تفرد المخلوقات كل في صفة ، ولا يكون الله الخالق متفردا في جميع صفاته ؛ لأن هذا الكون ، وتلك المخلوقات ، هي أثر من آثار خلقه ومن ثم هي مظهر تنطبع فيه صفاته ، وتتجلى معالم أفعاله ، من العظمة والكمال والجمال ، والجلال ، والإبداع والخبرة ، والتدبير والقدرة ، والحفظ والولاية والكرم والهداية.

---

(١) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، لمحمد ، ناصر الدين ، الألباني (ط ، المكتب الإسلامي) (١١٧٦/١) برقم : ١١٧٥٧ عن ابن عباس ، قال الشيخ الألباني : ضعيف . انظر حديث رقم : ٤٩٧٢ في ضعيف الجامع.

(٢) تقع واحة عيون موسي والتي تضم ١٢ واحة على بعد ٣٥ كيلو متر من مدينة السويس و٦٠ كم من نفق الشهيد أحمد حمدي الواصل بين محافظة السويس وشبه جزيرة ، ولم يتبق منها سوى خمسة آبار (بئر الزهر ، والبئر البحري ، والبئر الغربي ، وبئر الشايب وبئر الشيخ ، وبئر الساقية ، وبئر البقباقة) ولا يخرج الماء حاليا إلا من عين واحدة فقط ، هي بئر الشيخ ، ويبلغ متوسط عمق العيون حوالى ٤٠ قدم ويجرى الآن مشروع زرع المنطقة ، وترميم العيون المتبقية . موسوعة ويكيبديا الحرة على الانترنت .

(٣) البقرة.

(٤) سورة الشعراء.

المبحث السادس
فناء الجاذبية ، واتساع قيعان البحار والمحيطات ، واختزان الأرض حرارة الشمس ، وشكل الجبال ، ودلالتهم على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

– يقول الله –عز وجل– : ﴿كُل مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [١] ويقول : ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾ [٢] الفناء حقيقة كونية علمية ، نبه عليها القرآن الكريم ، ونستنبط من هذه الحقيقة القرآنية العلمية ، أن الله يجعل فناء المخلوقات وانعدامها ، دليلا من الأدلة على وحدانية وجوده ، لأن إفنائه للعالم مرة واحدة ، بطريقة واحدة ، دال على وحدانيته فاعلا لهذا الفناء ، وما يترتب عليه من أن لا يبقى أحد موجودا إلا واحد هو الله ذاته هو آثر من آثار وحدانيته ، وبصمة دالة على فردانيته يقول ابن كثير : " فهو تعالى وحده ، هو الحي الذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخرًا كما كان أولا " [٣] ويقول سيد قطب : " والآن ينتهي هذا الاستعراض في صفحة الكون المنظور ، وتطوى صفحة الخلق الفاني ، وتتوارى أشباح الخلائق جميعاً ، ويفرغ المجال من كل حي ، ويتجلى وجه الكريم الباقي ، متفرداً بالبقاء ، متفرداً بالجلال وتستقر في الحس حقيقة البقاء ، وهو يشهد ظلال الفناء :﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨﴾ [٤] وفي ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس ، وتخشع الأصوات ، وتسكن الجوارح . . وظل

---

(١) الرحمن.

(٢) الانشقاق.

(٣) (١٧٧/٢).

(٤) الرحمن.

الفناء يشمل كل حي ، ويطوي كل حركة ، ويغمر آفاق السماوات والأرض " [1] ونستنبط من إخبار الله عن تخلي الأرض عما تحمل على ظهرها من أحمال وتوافقه مع الحقائق العلمية التي قررت وجود نهاية للجاذبية ، دليلا جليا على وحدانية ﷲ الذي قضى بذلك ، فالأرض لا تلقي ما عليها وتتخلى عنه إلا إذا فقدت جاذبيتها ولقد قررت (نظريات بران ، وديك ، وهويل ، ونارليكار انتهاء الجاذبية ، وبالتالي فإن الأرض سوف تتمدد ، وتحدث بذلك شروخ عظيمة بالقشرة الخارجية ، ثم تتخلى عما تجذبه فوقها) [2] والمهم الأعظم هو أن نهاية الزوال كتبت على الأرض بمن فيها ، فمصير ما فوقها ، وما في بطنها من الأموات ، والكنوز ، والمعادن والزيوت ، والغاز ، وغيره ، مصير واحد ، مما يدل على إله واحد قضى بذلك قضاء مبرما ، لا راد له ، ولا ناقض له ، ولا معقب له ، فلم تملك الأرض بمن عليها وما فيها ، إلا السماع بأذن فطرتها على الطاعة ، والاستجابة لمقدمات قيام الساعة ، في إذعان وخضوع ، وإستكانة وخشوع ، فأمر الله لها بالتخلي عن جاذبيتها ، وفناء ما علا فوق قشرتها ، وبطن في جوف طبقتها ، أمر مـــبرم وقضاء محكم ، يقول الله –تعالى– : ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [3] فتعالى الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، وأنى يكون له ولد ولم يكن له زوج ولم يتخذ صاحبا ، ولا صاحبة ، ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد.

– يقول الله–تعالى– : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾ [4] ويقول : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [5] نستنبط من الآية معاني تتفق مع معطيات العلم

---

(١) (٦/٣٤٥٤).

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث للدكتور منصور محمد حسب النبي صفحة (٦٠) بتصرف يسير.

(٣)الانشقاق.

(٤) الغاشية .

(٥) الغاشية.

الحديث ، وتدل على وحدانية الله –جل جلاله– فبالأرض منطقة تعرف بمنطقة الضعف الأرضي ، وهي لا تزال مشتعلة ومسجرة ، ببحر من الماء والنار والصخور ، حيث يوجد فيها صخور في حالة لدنة ، شبه منصهرة ، عالية الكثافة واللزوجة ، تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل من محيطات الأرض وقيعان بعض البحار ، كالبحر الأحمر ، في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية ، وذلك بملايين الأطنان ، فتدفع بجانبي المحيط يمنة ويسرة ، في ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة اتساع وتجدد قيعان البحار والمحيطات ، يقول النبي –ﷺ– : " إن تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا " [1] [2] فبقاء هذه الظاهرة ، دليل على وحدانية الواحد الذي جمع بين متضادين ، فالماء يطفئ النار ، والنار تحرق الصخر ، والصخر قد يطفيء النار ، ولكنا هنا نجد الماء والنار والصخر ، فلا الماء يطفئ النار ، ولا النار تحرق الصخر ، ولا الصخر يطفئ النار ، بل النار مسجرة في الماء والصخر ، ولا تزال مشتعلة ، وتزداد اشتعالا بسبب اختزانها لحرارة الشمس ولولا امتصاصها لهذه الطاقة الشمسية ، لفنيت مظاهر الحياة ، مما يدل على وجود إله قدر تسجير البحار ، ولم يكن له شريك يغير القواعد الكيميائية المستــقرة ويحاول إطفاءها ، فتأمل هذه الصورة :

---

(١) سبق تخريج الحديث بصفحة (٥٥).

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ الدكتور : زغلول النجار (١٣٠، ٣١) بتصرف .

يقول الماوردي : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [1] الآيات وفي ذكره لهذه عدة أوجه :

أحدها : ليستدلوا بما فيها من العبر على قدره ﷻ تعالى ووحدانيته ... [2].

وعلى ضوء هذا التفسير أقول : إن الوحدة الشكلية للجبال فوق الأرض وتحتها من تشابه تضاريسها في الجذر الضارب بأعماق أرضها ، الطافي فوق منطقة ضعفها وفي شموخ ارتفاعاتها ، وهوي انخفاضاتها ، وتعرجاتها ، ونتوءاتها وأمتهـا ووحدة ملمس صخورها ، وانحدار جوانبها ، وعدم انتظام ميولها ، فهي ما بين ميلان ممهد – تصعد فيه حتى تظن أنك مدرك قمته– واستواءات فجائية ناعمة وميلان ذي نتوءات خطيرة قاتلة ، وألوان غير متماثلة وصخور مختلفة ، ورمال غير مؤتلفة ، وأحياء مخيـفة ، وقمم مسننة ، ومنبسطة ومدببة ، وتضاريس مرعبة وأطراف مترامية ، ومعادن غالية ، وقواعد طافية ، وضخامة هـائلة ، ومهاوي غائلة ، وجذور غائرة ، ومياه فائرة ، دليل على وحدانية المشكل لها ، الملقي لها من باطن الأرض والبحر .

---

(١) الغاشية.

(٢) النكت والعيون ، لأبي الحسن ، علي ، بن محمد ، بن حبيب ، الماوردي ، البصري (ط بيروت دار النشر ، دار الكتب العلمية) (٢٦٢/٦).

الفصل الثاني
الآيات الكونية ، ودلالتها على الوحدانية ، من خلال علم الجغرافيا

ويحتوي على المباحث الآتية :

المبحث الأول

اختلاف الليل والنهار ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : اختلاف الليل والنهار ، وارتباطه بكروية الأرض ، ونظام الجاذبية ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

-يقول الله -تعالى- : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [1] ويقول ﴿...وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨﴾ [2] ولا يتصور حدوث القذف من كل جانب إلا مع كروية الأرض ، لا سيما مع توالي وغزارة حدوث القذف والرجم ، وإن تكوير الليل على النهار ، وتكوير النـــهار على الليل ، من أدلة الوحدانية ، فهما لا يتخلفان عن وجهي الكرة الأرضية ، ولو كان مع الله شريك لشاهدنا دوران الأرض ســـاعات ، وتوقفهـــا ساعـــات ، ولتغير عدد الساعات كل يوم ضرورة اختلاف المرادات بين الشركاء ، فاستمرار دوران الأرض ، يدل على وحدانية الخـــالق الذي أبدع قانون الجاذبية ، ولم يسمح لأحد بالتدخل فيه ، أو التعديل ، ولو كان معه إلهة آخرى خلقت أكوانا أخرى وعبدت فيها ، لكان لكل رب معبود ، قانونه ، أو لابتغى كل رب مألوه مغالبة الآخـــر ، ولأفسد أحد هؤلاء الأرباب المألوهة ، قانون الجاذبية ، ولقامت علينا القيامة كل دقيقة ، في معرض الحرب بين هذه الأرباب المألوهة ، لمحاولة كل منها التماس سبيل أو طريق للاستيلاء على الملك ، والخلق

---

(١) الزمر من الآية (٣٩).

(٢) الصافات.

من الرب الآخر ، لتكون هي وحدها الرب المعبود ، الخالق للوجود والموجود يقول

الله –تعالى– : ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣﴾ [1] أو لحاول كل رب مألوه النيل من الرب المألوه الآخر ، ولحاول أحدهم التماس طريق لمغالبة ذي العرش فوق عرشه ، والقضاء عليه ، وبما أنه هو الذي يمسك سماواتنا وأرضنا أن تزولا فهذا يؤدي لزوال السماوات والأرض في أثناء هذا الصراع ، وتلك المغالبة ، أو لاختلال بعض قوانينها ، ومنها مثلا قانون الجاذبية الذي يسري على الخلق من الذرة إلى المجرة ، وهو الأساس الذي كون الله منه المادة والخلق ، أو لو فرض هذا ، فلن يكون هناك عرش كعرش الخالق لكم ، وآيات ملكوته ومشاهد جبروته ومن ثم سوف تجتمع تلك الآلهة ؛ لتبتغي طريقا إلى مغالبته ومحاربته ، والقضاء عليه ، ومن ثم الاستيلاء بعد ذلك على هذا الملك العظيم والعرش الكريم ، ولما كان الخلق من العرش إلى الفرش ، والكون جميعا قبضته ، والسماوات مطويات بيمينه وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، فإن بداية حدوث هذا يعني فناء السماوات والأرض من جهة ، ومن جهة أخرى يعني المناقضة لتنزه الله وقدسيته وتعاليه علوا كبير ؛ لأنه صفات الكمال التي يتصف بها تمنع ذلك ، فهو الواحد الكبير ، الحي القدير الذي لا يموت ، ولا يقوت ، ولا يغفل عن الوجود ، ولا ينام عن الموجود [2] .

المطلب الثاني : اختلاف الليل والنهار ، وظلمة الفضاء ، ودلالتها على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

–يقول الله –سبحانه وتعالى– : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ

---

(١) الإسراء.

(٢) وقد أورد الله إيلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، بسورة آل عمران ٢٧ ، واختلاف الليل والنهار على كوكب الأرض بسورة البقرة ١٦٤ و(إغشاء الليل النهار) بالأعراف ٥٤ و(تقدير الليل والنهار) المزمل(٢٠) – و(إسراء الليل على الأرض) –الفجر– (٤) .

ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (١) ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ (٢) يبين الله -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه جعل الليل والنهار آيتين ، أي علامتين دالتين على أنه الرب المستحق أن يعبد وحـــده ، ولا يشرك معه غيره ، وكرر تعالى هذا المعنى في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ (٣) وقوله : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (٢) ... إلى غير ذلك من الآيات (٤).قلت : إن الله -ﷻ- يقدم الليل على النهار في جميع الآيات لأنه الأصل.

ويقول القرطبي : " قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ...﴿٣٧﴾﴾ (٥) أي وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ، ووجوب إلاهيته " (٦).

ويقول في موضع آخر : " ذكر لهم دلالة أخرى ليعتبروا بها ، فقال -ﷻ- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾ " يعني علامة وحدانيته الليل ﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ " يعني نخرج ونميز منه النهار " ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (٢) " يعني داخلون في الظلمة ، ويقال : يبقون في الظلمة ، ويقال : إن الذي خلق الدنيا مظلمة هو الله تعالى " (٧).

قلت : وحدة الأصل في الكون ، وهو الظلام يدل على وحدة الخالق ، الذي جعل

---

(١) القصص. (٢) يس.

(٣) فصلت.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٠٦).

(٥) يس.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد ، بن أحمد ، بن أبي بكر ، القرطبي المتوفى : ٦٧١ هـ تحقيق : هشام سمير البخاري (ط ، الرياض ، نشر : دار عالم الكتب ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م) (٢٦/١٥).

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي(١١٦/٣).

الأصل في الفضاء الكوني ظلمات بعضها فوق بعض ، إلا من جعل له نورا مثل سكان الأرض ، فهو دليل على قصدنا بنعمة النور ، من منعم واحد لا شريك له.

ونحن لم نشهد عاما من الأعوام أظلمت فيه الشمس ، ولا شهرا من الشهور اختفي فيه القمر ، بل الشمس والقمر بحسبان ، يقول الله -تعالى- : ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ۝٥﴾ [٣] مما يدل على وحدانية ﷲ الذي جعل نظاما واحدا ، ولو كان مع ﷲ آلهة أخرى لتغير هذا النظام ضرورة اختلاف إراداتهم ، وإثبات كل واحد منهم لوجوده كإله ، وقد قدم ﷲ سبحانه الظلمة في القرآن ، فقال : ﴿...وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ...۝١﴾ [١] كما قال -تعالى- : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧﴾ [٢] مما يدل على أن الأصل هو عرض الظلمة ، ويقول : ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [٤] ويقول : ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ۝١٢﴾ [٥] فالهواء يقوم بتشتيت ضوء الشمس ؛ لتصطدم فوتوناته بالأجسام ، وتنعكس أو تصل إلى العين ، ولما كان الفضاء خاليا من الهواء ، وكان الهواء قليلا في الطبقة الأخيرة الأرض ، أظلمت الطبقة الأخيرة من الأرض ، وأظلم الفضاء كله ، وأظلمت سماوات جميع الكواكب ، يقول- تعالى-:﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾[٦][٧]

---

(١) الأنعام.

(٢) يس.

(٣) الرحمن.

(٤) التكوير.

(٥) الإسراء.

(٦) النازعات.

(٧) القرآن الكريم والعلم الحديث ، للدكتور / منصور محمد حسب النبي ، صفحة (١٦٤)

ويقول : ﴿...يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ...﴿٥٤﴾﴾ [١] أي : يغطي الله بالليل النهار ، فهو يطلبه حثيثا ، أي طلبا سريعا ، ودائما ما يكون المغطي والطالب ، هو الأقوى ، والأعم ، والغالب ، فالليل هو الغالب فالفضاء كله ليل ، وآخر طبقة من الأرض مظلمة ، أو ليل ، والكواكب جميعها مظلمة الفضاء ، ونصف الكرة الأرضية ليل ، فعندما تشاهد الصورة من بعيد في الفضاء المظلم ، وترى الأرض أعلى طبقة فيها مطبقة الظـــلام ، ثم ترى الأرض تدور حول نفسها {-بسرعة ١٦٧٤ كيلوا مترا في الساعة- [٢]} ونصفها ليل ، ونصفها نهار ، ستقول على الفور : إن الليل يطلب النهار طلبا ، وأنه الأصل وأن النهار عويرض أو طارئ على قاعدة الإظلام في الفضاء ، وقد قال -تعالى- : ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [٣] - وأكد نظرية تغشية الليل لكل شيء ، فقال : ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ [٤] أي النهار وضحاه قبل وقت الظهر ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ [٤] أي : بالليل ، حيث يبعث نورا على الأرض ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ [٤] أي : جلى ظلمة الليل البهيم باستقبال الهواء لأضواء الشمس وتشتيتها ، وأظهر الشمس في أفق السماء ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [٤] أي : يقسم ربنا بالليل إذا يغشى ، ويغطي الشمس ؛ لوجودها ضمن الفضاء المظلم ، ونصف الأرض التابعة لها ، فهنا أكد أن الليل كالغطاء والنهار يظهر منه ، كما يظهرُ من النائمِ المُتَغَطِّي بغِطَاءٍ رأسُهُ ، ويَتَغَطَّى سائرُ

---

(١) الأعراف.

(٢) خلق الكون بين العلم والإيمان ، للدكتور / محمد باسل الطائي ، صفحة (١٨).

(٣) الحجر.

(٤) الشمس.

جسدِه ، ويقول –تعالى– : ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [١] فالليل يعم كل ما في جوف الفضاء من أجرام ، كما يعم الوسق ما يوضع فيه بالحمل ، والإحاطة ، والمنع من السقوط. ويقول ﷻ : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ...﴿٣٧﴾﴾ [٢] فالليل مسلوخ منه ، والنهار هو المسلوخ ، وبالتالي فالمسلوخ من الشيء فرع عنه ، والمسلوخ منه هو الأصل. يقول برهان الدين البقاعي : " قدمه لأنه الأصل والأقدم " [٣] ويقول ﷻ –تعالى– : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [٤] وعسعس لفظ من الألفاظ المتضادة في القرآن ، فهو بمعنى أقبل، وبمعنى أدبر فسواء أقبل الليل على الأرض ، أو أدبر ، فالصبح بالنسبة لعموميته كطبقة تنفس للكائنات الحية ، طبقة واحدة ضئيلة ، تعلوها ست طبقات غير صالحة للتنفس وكذلك يبدو الصبح على الأرض وسط ظلام الفضاء الحالك ، كما تتلألأ الأرض بضوء النهار على نصفها في جسم المجموعة الشمسية ، فيبدو من ظاهرها مكان الإضاءة في الأرض قليلا في مساحاته ، و ﷻ لم يجعل حياة في غير عضو الأرض من بين سائر أعضاء هيئة المجموعة الكوكبية الشمسية ، وهو ما يدل على وحدانية الله الذي جعل الحياة في الأرض دون غيرها من كواكب المجموعة الشمسية بصمة دالة على وحدانيته ، وبعض العلماء يقولون : إن الهواء يتمدد نهارا بسبب الحرارة وينكمش ليلا بسبب البرودة ، فهذا هو تنفسه ، كما تتمدد الرئة بالهواء عند الشهيق وتنكمش بإخراج وطرد الهواء عند الزفير ، ومن وجوه تنفس الصبح أن نسبة الأوزون تزداد عند الفجر لتتنفس الكائنات هواء صحيا لا تجده إلا في وقت انسلاخ النهار من الليل ، قلت : وهذا التشابه بين تنفس الإنسان ، وتنفس الليل والنهار بصمة دالة على وحدانية باصمها ، فتباركت قدرة الله –جل في علاه–.

---

(١) سورة الانشقاق.

(٢) الانشقاق.

(٣) يس.

(٤) التكوير. (٥) نظم الدرر.

المبحث الثاني

دورة المياه ، وتلازم الرياح ، والسحب ، والمطر ، وتلقيح الرياح للسحب ، ودور الجبال في تكون البحيرات والأنهار ، والمياه الجوفية (النفاذية) ودلالة ذلك كله على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

- يقول ﷻ : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [1] فأين يذهب الماء الذي ينزل من السماء بعدما يسلك ينابيع في الأرض ، كيف لا نستطيع خزنه ؟ وأين يذهب ؟ يجيب ﷻ على ذلك فيقول : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [1] يقول ابن جريج : المطر خاصة ، فالمطر يذهب للسحاب ، لا ينزله ﷻ إلا بقدر معلوم ، فما هو القدر المعلوم ، يقول ابن عباس : " ما من عام بأمطر من عام ، ولكن ﷻ يصرفه حيث شاء ، عاما هاهنا ، وعاما هاهنا ، ثم قرأ : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ " [1] [2] . ﴿...وَمَا أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [1] جملة مستأنفة و " لَهُ " متعلق بـــ " خَازِنينَ " والمعنى : أنَّ المطر في خَزائِننا ، ولا في خَزائِنكُمْ وفي الآية ﴿عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [1] [3] أي المطر عند ﷻ خزائنه في السحاب ، كيف وقد قال في الآية السابقة أنه أنزله ؟ وليس هذا فحسب ، بل نفي أننا نخزن ما ينزل من مطر الخزائن أو السحب ، فيسقينا ﷻ منه ما يروي عطشنا ، فلا تفسير لذلك سوى دورة الماء التي ينزل فيها الماء إلى الأرض ؛ لنشرب نحن والأحياء جميعا

---

(١) الحجر.

(٢) جامع البيان ، في تأويل القرآن ، لمحمد ، بن جرير ، الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر (ط ١ نشر : مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م) (٤/١٧) وبنحوه الحاكم في المستدرك (٤٣٧/٢).

(٣) اللباب ، لأبي حفص ، عمر ، بن علي ، بن عادل الدمشقي ، المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ تحقيق د : محمد سعد رمضان حسن ، ود : محمد المتولي الدسوقي حرب (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية رمل الظريف ، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٨م) (٤٤٨/١١) .

ثم يصعد مرة أخرى إلى خزائنه التي عند ﷻ في السماء ، والتي نزل منها في البداية ، أو يكون المعنى : وما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون ، فنفي أننا نستطيع إبقاءه للأبد في الآبار والعيون فنحن نستخرجه ونستعمله ، ونترك منه ، والكل يتبخر منه ما يصعد للخزائن مرة أخرى ، حيث السحب ، ولذلك قال بعدها : عندنا خزائنه إشارة للعلو ، فالماء يعلو مرة أخرى حيث السحب ، ولما كان ﷻ عاليا عن خلقه والسحب عالية عن الخلق ، ولما كان ﷻ ليس له جهة محددة ، والسحب ليس لها جهة محددة لتواجدها ، بسبب كروية الأرض ، أضافها إليه فقال : ﴿عِندَنَا﴾ ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض ولو كان المراد عدم غوره من مسالك الأرض لقال : وما أنتم له بماسكين في خزائن الأرض ، كما قال في سورة الملك : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ وكما قال في سورة المؤمنون : ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾[1] أي : جعله ﷻ تعالى في أحواض صخرية ضخمة جدا ، تمسك الماء في قشرة الأرض ، حتى لا يغور في أعماقها السحيقة ، فمظاهر اللطف في الماء ومجاريه واضحة ، ودالة على رحمة ﷻ ونعمته ، ويقول برهان الدين البقاعي : " ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ﴾ أي ذلك الماء ﴿بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ [1] " والخزن : وضع الشيء في مكان مهيأ للحفظ ، فثبت أن القادر عليه واحد مختار " [2] ويقول الشيخ محمد الغزالي في تفسير قول الله –تعالى– : " ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ [1] " والآية تشير إلى معنى رائع ، فإن الزروع تحتاج إلى الماء لتنمو ، والناس والدواب تحتاج إلى الماء لتحيا ، وقد تكفل ﷻ بإعداد المقادير من الماء الصالح لسد هذه

---

(١) الحجر.

(٢) (٤/٢١٤).

الحاجات كلها ، ورتب لذلك عمليات البخر ، وتكون السحب وسقوط الأمطار وتفجر الينابيع أو جريان الأنهار..وستذوى أعواد النبات وتفنى أجساد البشر ويعود ما في هذه وتلك وغيرهما من ماء ، ليأخذ دوره البخر والسحب والأمطار.. الخ ، وهكذا دواليك. أكدت هذا المعنى آية أخرى " ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ " [1] وتوفر العذوبة للماء وحفظ القدر الذي تحتاج الدنيا له هما معنى الاختزان الوارد في الآية " [2] .

فكشف العلم الحديث أن ذهاب الماء للسحاب وعودته إليه مرة أخرى ، وعدم استطاعة البشر خزنه مرة أخرى بسبب عملية البخر التي تتم للمياه ، فتنفك عناصر المياه من أكسجين وهيدروجين بسبب حرارة الشمس ، فيصعد مرة أخرى إلى طبقات الجو العليا على أكف الرياح التي ذكرت في أول الآية السابقة مباشرة على أنها هي التي تلقح السحب ، أو تحمل اللقاح للسحب ليتكثف ، فينزل الماء ماء طهورا للشرب ، مطهرا للأرض ، فالآيتان واضحتان في الدلالة على دورة الماء الهيدروجينية المنتظمة ، التي هي دليل من أدلة الوحدانية ، حيث (إن المياه العذبة سواء أكانت أنهارا ، أم بحـــيرات ، أم مياها جوفية ، كلها ذات مصدر واحد ، وهو مياه الأمطـــار ، كما أنها كلها تنصرف في النهاية إلى مصب واحد في البحار والمحيطات) [3] وهذه التصريفات الواحدة ، ذات النهج الواحد ، دليل باهر على وحدانية المصرف لها ، والمتحكم بها سبحانه وتعالى.

* ولا يزال المطر ينزل منذ عهود سحيقة بنفس الطريقة ، وبنفس الكمية دون توقف في وقت ما ، فحرارة الشمس تبخر ماء الأرض من أسطح البحار ، والمحيطات والأنهار ، والبحيرات ، والبرك ، والمستنقعات ، ومن أسطح تجمعات الجليـــد

---

(١) المؤمنون.

(٢) قذائف الحق (ط ١ ، دمشق ، دار القلم ، سنة ١٤١١هـــ-١٩٩١م) للشيخ محمد الغزالي (١٣٨) الفصل الخامس ، خزان المياه.

(٣) القرآن الكريم والعلم الحديث للدكتور / منصور محمد حسب النبي ، صفحة (٦٤).

وحتى من المياه المختزنة تحت سطح الأرض ، ومن تنفس وإفراز كل من الإنسان والحيوان ، ونتح النباتات ، وبخار الماء المتصاعد من فوهات البراكين ، وغير ذلك من مختلف مصادر المياه ، فيرتفع بخار الماء إلى الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض (نطاق المناخ أو نطاق الرجع)-(بسبب فروق درجات الحرارة والضغط من مكان إلى آخر ، وهذه الفروق تنشأ من توزيع الطاقة الشمسية على الكرة الأرضية وبهذا فإن الشمس تمثل القوة المحركة لهذه الدورة المائية ؛ لأن الشمس تولد بخار الماء والرياح ، فيصعد الهواء المحمل ببخار الماء ، ويتمدد في الطبقات العليا الأقل كثافة في الغاز الجوي ، وهذا التمدد يؤدي إلى التبريد الذي يضعف من قدرة الهواء على حمل بخار الماء حين يتكثف في السحب على هيئة قطرات دقيقة لا حصر لها وإذا انخفضت درجة الحرارة إلى أقل من درجة التجميد ، فإن بللورات الثلج تتكون مؤدية إلى ظهور السحب الكثيفة المرئية ، وكلما نمت قطرات السحاب وزاد حجمها فإن وزنها يتغلب على التيارات الهوائية الصاعدة التي لا تقوى على حملها ، فتسقط بالجاذبية على هيئة مطر ، أو ثلج (برد) وعندما يصل ماء المطر إلى الأرض يتبخر جزء منه مباشرة (ومقداره ١٥ ألف ميل مكعب ، والباقي ٩ آلاف ميل مكعب)[١] يقول مقاتل ابن سليمان : " ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ. . .﴾ [٢] ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده فقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴿٩٩﴾﴾ [٢] يعني المطر ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾ يعني بالمطر ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يعني الثمار ، والحبوب ، وألوان النبات " [٣] فاستمرار الدورة المائية دليل على إله واحد لا شريك له يسعى لإيقافها.

*ومنها ما يسلكه الله ينابيع في الأرض ، أو بعبارة أخرى مياها جوفية – ومخزون المياه الجوفية يمثل ٩٨% من المياه العذبة في العالم ، فالمياه العذبة في الأنهـــار

---

(١) مقال المياه الجوفية أصلها ومنشأها بقلم : د صلاح شريف عثمان ، مجلة العلم ، العدد ٣٦ يناير ٢٠٠٧م صفحة (٤).

(٢) الأنعام.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٨٠ ، ٥٨١).

والبحيرات ، وخزانات السدود ، سرسوب مياه لا يتعدى ٢% حيث تبلغ المياه الجوفية

٩٠٠٠ بليون كم ٣ تقريبا ، بحيث لو خرجت لأغرقت كوكب الأرض بارتفاع مترين ونصف المتر ، ففي مصر مياها جوفية بالصحراء تعادل عشرات المرات نهر النيل ، فضلا عن الخزانات الجوفية " [١]. وهذا التقدير لذلك التخزين للمياه ، وخروجها على هيئة عيون ؛ لنروي زروعنا ، دال على مقدر واحد.

* ومنها ما تتعرض له الجبال ، فيتراكم فوقها ، وينزل بعد ذلك في بحيرات تتفرع منها الأنهار) أو يمتصه النبات من الجذر إلى الساق ، ويخرج من الأوراق عن طريق النتح ، ليعود إلى الهواء ؛ ليشترك في الدورة مرة أخرى دون المرور بمياه البحر(ويسقط على البحار نحو ٧١ ألف ميلا مكعبا من المياه) بينما ينساب جزء آخر من مياه الأمطار – الـ ٩ آلاف ميلا مكعبا التي سقطت على سطح الأرض– خلال الأنهار إلى البحار والمحيطات ؛ ليعود مرة أخرى بالتبخير إلى الهواء لتتكرر الدورة) [٢] وتتناقص فيه درجات الحرارة مع الارتفاع ، ويقل الضغط الهوائي ، مما يساعد على تكثف بخار الماء الصاعد من الأرض على نوى دقيقة من هباءات الغبار العالق بالهواء ، تعرف باسم (نوى التكثف) تحمله الرياح إلى أعـلى مع دقائق الأملاح ، وبلورات الثلج ، وغيرها ، فيزداد تكثفه مكونا السحب حيث يؤدي وجود الشحنات الكهربية في السحابة الواحدة ، أو بين السحب المنفصلة عنها عند التقائهما وتصادمهما ، إلى الإمطار ، مما يعين على عودة ماء الأرض إليها على هيئة مطر ، أو برد ، أو ثلج ، أو ضباب ، أو ندى وللرياح الشمسية تأثير في سقوط الأمطار أيضا ، حيث تؤثر على أغلفة الأرض ، وأجوائها المختلفـة بدرجات حرارة مختلفة، وقبل وبعد كل هذا إرادة الواحد سبحانه [٣] .

---

(١) مقال المياه الجوفية أصلها ومنشأها سبق بيانه .

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث ، للدكتور : منصور محمد حسب النبي ، صفحة (٧٣) بنصه ما عدا ما بين الأقواس والشرطتين .

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للدكتور زغلول النجار (٤١/١، ٤٢، ١١٩) ومن آيات الإعجاز العلمي – النبات في القرآن الكريم ، للدكتور زغلول النجار (١٣٥/٥) باختصار وتصرف.

*وقد أورد القرآن دورة الماء فقال –تعالى– : ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ

ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ [1] فنفي فكرة تخزين الماء في الأرض ، أو البحر ، أو النهر ؛ لأنه يعود مرة أخرى بالتبخير والتسرب من باطن الأرض ، إلى البحار ، والمحيطات كل فترة طويلة من الزمن ، ثم من البحار يتم التبخير ، وقال -تعالى- : ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾[2] (فالمياه تسكن في البحار والأنهـــار ، وتسكن في جوف الأرض ، فتعرف بالمياه الجوفية ، فالصخور توجد بينها مسام تسكن المياه بها ، حتى إذا زادت الضغوط المياهية الواقعة عليها انفجرت ، وتمكنت من الخروج على هيئة مياه متدفقة من بين الصخور ، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار والينابيع يقول الله -تعالى- عن الصخور أو الحجارة : ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ...﴿٧٤﴾ [3] [4] .

*وأما المسارات بين الصخور ، فتحركت المياه من خلالها ، واستقـــرت وسكنت في أحواض تركيبية شاسعة ، كالحوض الحجري الرملي النـــوبي الذي يوجد بالصحراء الغربية بمصر ، ويمتد إلى ليبيا ، وتشاد ، وقد تعتري هذه الأحواض ثورات جيولوجية ، أو صدوع ، والتواءات في القشرة الأرضية تؤدي لهجرة المياه الجوفية إلى الطبقات الصخرية الرسوبية بمسافات طويلة غائرة في الأرض لا يمكن أن تصل إليها أدوات الإنسان وآلاته ، يقول الله -تعالى- : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾ [5] ويقول -تعالى- : ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا

---

(١) الحجر.

(٢) المؤمنون.

(٣) البقرة.

(٤) الإعجاز العلمي في الإسلام ١- القرآن الكريم ، لمحمد كامل عبد الصمد ، صفحة (٨٥ ٨٦).

(٥) الملك.

غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ [1] [2] ويقول الله -تعالى- : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ [3] فلا يقدر على خزن المياه بهذا الكم وباستمرار ، وتوزيعه بتلك الحكمة الرائعة والطريقة المبدعة النافعة ، إلا إله له قدرة مطلقة ، وإرادة واحدة .

*ويقول الله -تعالى- : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ [4] فهي ترجع الماء المتبخر الصاعد عليها عن طريق الهواء والرياح الملقحة ، حتى يتشكل سحبا في جوها أقول ترجعه مرة أخرى إلى الأرض أمطارا ، في دورة مستمرة مسخرة بين مياه المحيطات والأنهار وغيرها من جهة ، وسحب الغلاف الجوي في سمائنا من جهة أخرى ، فإذا تبخر جزء من مياه الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليها من السماء على هيئة أمطار ، وبذلك تستقر كمية المياه على الأرض ، ولا تزيد ، ولا تنقص بسبب استمرار هذه الدورة [5] يقول سيد قطب : " والرجع المطر ترجع به السماء مرة بعد مرة ، والصدع النبت يشق الأرض وينبثق ، وهما يمثلان مشهداً للحياة في صورة من صورها ، حياة النبات ونشأته الأولى : ماء يتدفق من السماء ، ونبت ينبثق من الأرض أشبه شيء بالماء الدافق من الصلب والترائب ، والجنين المنبثق من ظلمات الرحم ، الحركة هي الحركة . . نظام ثابت ، وصَنْعَةٌ مُعَلَّمَةٌ ، تدل على الصانع ، الذي لا يشبهه أحد ، لا في حقيقة الصنعة ، ولا في شكلها الظاهر! وهو مشهد قريب الشبه بالطارق ، النجم الثاقب ، وهو يشق الحجب والستائر ، كما أنه

---

(١) الملك.

(٢) الكهف.

(٣) الإعجاز العلمي في الإسلام ١- القرآن الكريم ، لمحمد كامل عبد الصمد ، صفحة (٨٤ ٨٥).

(٤) الروم.

(٥) الطارق.

(٦) مع الله في السماء ، للأستاذ سعيد صلاح الفيومي ، صفحة (٥٢، ٥٣).

قريب الشبه بابتلاء السرائر ، وكشف السواتر.. صنعة واحدة تشيرإلى الصانع" [1].

*وفي تفسير قول الله تعالى ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ...لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [2] يقول الرازي : " لولا تحرك الرياح لما جرت الفلك ، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله ، فلو أراد كل العالم بقلب الريح من الشمال إلى الجنوب ، أو إذا كان الهواء ساكا أن يحركه لتعذر " [3] فكشف الرازي أن وجه دلالة تصريف الرياح على الوحدانية أنها مستمرة في اتجاهاتها لا تتغير ، ولو كان مع الله شريك من البشر ، أو كل البشر لقلب اتجاهها ، ولكن ذلك لم يحدث ، كما أنه أورد أنواع الرياح ثم قال : " واعلم أن كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية " واستدل على وحدانية الله بأن طبع الماء ثقيل ، وجعله في السماء دال على صانع واحد لا شبيه له في فعله وقهره ، وبأن تقدير تحرك السحاب وعدم توقفه بحيث يستر ضوء الشمس أو ديمومة هطوله لوقت طويل تكثر به الأمطار والابتلال ، فتقديره بالمقدار المعلوم دال على أن تصريفه له غرض واحد ، وهو منفعة البشر ، ومن ثم فمصرفه واحد له إرادة واحدة ، شاءت نفع البشر بالسحاب ، كما أن في إتقان تقديرها بالمقدار المعلوم ، دلالة على سعة علم الصانع ، ومن ثم لا حاجة له في اتخاذ شريك يساعده في الخلق ، كما أن عدم تحكم أحد في توجيه السحاب لأماكن تساقطه دال على وحدانية من يتحكم فيه ولم يشرك في حكمه أحدا ، فهو الذي يرسل الرياح لتسوقه حيث أراد ، وحدوث كل ذلك مع الانتظام والاستمرار من غير ظهور الفساد ، دال على وحدانية الصانع ، إذ لو كان مع الله إله آخر لابتغى إلى ذي العرش سبيلا ما ليفسد عليه نظامه . يقول الشاعر :

عرفتك بالسحب الهاطلات .. لتحيي كل بلاد موات

بكل نبات عجيب النبات .. بمختلفات ومشتبهات

بأنك أنت الإله الأحد [4].

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٨٨٠). (٢) سورة البقرة. (٣) مفاتيح الغيب للرازي (٢/٢٢٢).

(٤) رائق الشهد ، لسيد بن حسين العفاني ، صفحة (٤٣٠).

المبحث الثالث

توازن المطر كما وكيفا ، وتعقيم ماء السحاب والبخار (الغلاف الجوي) ودلالة ذلك على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على عدة مطالب :

المطلب الأول : توازن المطر كما وكيفـــا ، ودلالته على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

- يقول اللهُ -تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ...﴿١٨﴾﴾ (١) (٢) ويقول -تعالى- : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴿٢١﴾﴾ (٣) .

وعلى ضوء مفهوم الآيتين أقول : إن وحدة طريقة توزيع كمية المطر كل عام تدل على وحدانية الموزع سبحـــانه ، حيث يتبخر من ماء الأرض ٣٨٠ ألف كيلو مترا مكعبا في كل سنة ، أغلبها ٣٢٠ ألف كيلو متر مكعب من أسطح البحار والمحيطات وأقلها ٦٠ ألف كيلو مترا مكعبا من أسطح اليـــابسة ، وتعود هذه الكمية إلى الأرض بمعدلات مختلفة ٢٨٤ ألف كيلوا مترا مكعبا على البحار والمحيطات و٩٦ ألف كيلوا مترا مكعبا على اليابسة ، ويفيض الفارق في الحالتين ٣٦ ألف كيلوا مترا من اليابسة إلى البحار والمحيطـــات ، فالله هو الذي يســـوق الماء ، يقول اللهُ :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ...﴿٢٧﴾﴾ (٤). ويقـــول : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ (٥) وفي آية قبل ذلك يقول :

---

(١) المؤمنون.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ الدكتور : زغلول النجـــار (١/٤١، ٤٢ ١١٩).

(٣) الزمر.

(٤) السجدة.

(٥) الحجر.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [1] فالتعبير بلفظ الخزائن يفيد أن الماء النازل من السماء بفعل الرياح الملقحة ، والذي لا نستطيع خزنه ، وإنما يخزنه الله تعالى بعملية التبخير ، ويلقحه بالرياح ، ويكثفه على هيئة سحاب ماء معلوم المقدار ، ويفيد التعبير بالمقدار المعلوم أن الله لا ينزله إلا بقدر معلوم على البحار والمحيطات واليابسة ، وقد أثبت العلم أن نسبة الماء على سطح الأرض بنسبة ٧١% واليابسة بنسبة ٢٩ % نسبة باقية مما يدل على وحدانية ﷻ الخالق للبحار والأنهار واليابسة ، فالقدر الذي ينزل من السماء في كل عام ثابت يقول الرسول : " ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن ﷺ يصرفه حيث شاء " [2] وﷻ يقول : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [1] [3] فالتعبير بلفظ الخزائن يفيد أن الماء النازل من السماء بفعل الرياح الملقحة ، لا نستطيع خزنه ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ وإنما يخزنه الله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ...٢١﴾ [1] وذلك بعملية التبخير وتلقيح الرياح ، ليتكاثف على هيئة سحاب ماء ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ...٢٢﴾ [1] والمقصود بالسماء السحاب ، وذلك الإنزال معلوم المقدار ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [1] ويفيد التعبير بالمقدار المعلوم أن الله لا ينزله إلا بقدر ، فهو لا ينقص عن العام الذي قبله ، فإن وحدة كمية المياه المتبخرة إلى السحاب ، وثبات مقدارها المعلوم وهو ٣٨٠ ألف كيلو مترا مكعبا في كل سنة ، ووحدة كمية المياه النازلة من السحاب ، وثبات مقدارها المعلوم وهو ٣٨٠ ألف كيلو مترا مكعبا في كل سنة ، دليلان ظاهران ، على وحدانية الله العليم القدير ، واللطيف الخبير.

المطلب الثاني : تعقيم ماء السحاب والبخار ، ودلالته على الوحدانية ، في

---

(١) الحجر.

(٢) الحجر ، والحديث سبق تخريجه صفحة (٥٩).

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ الدكتور : زغلول النجار (١٠٥/٢) .

ضوء الآيات القرآنية :

-يقول الله -تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [١] ويدل على أن الآية مسوقة لبيان دلائل وحدانية الله أن قبلها يقول ﷻ : ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ...﴾

[٢] فالحديث هنا عن الشرك يقول السمرقندي : ويقال : إنهم كانوا يعبدون حجرا فإذا رأوا أحسن منه تركوا الأول ، وعبدوا الثاني " [٣] .ومن ثم أعقب الله ذلك بسرد دلائل وحدانيته ومنها قوله -تعالى- : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [٤] ولبيان معناها أقول : إن تطهر ماء الأرض باستمرار بسبب دورة الماء ، دليل على وحدانية الله ، حيث تتجمع الملوثات على هيئة مواد ذائبة أو عالقة به ، خاصة وأن الأوساط المائية تعيش فيها وتموت بلايين الأفراد من صور الأحياء كل لحظة وتمتد عملية التطهير المائي تلك بطول قطر دورة الماء حول الأرض من نحو الكيلو متر تحت سطح الأرض إلى ارتفاع بين ٧ و١٧ كيلو مترا فوق سطح البحر فلا ننسى أن دورة الماء تفتت الصخر ، وتحمل أملاحه إلى البحار والمحيطات ولولا ذلك لتعفنت جميع الأحياء التي فيه ، لا سيما وأن ماء البحار والمحيطات يمثل حوالي (٢٢ ، ٩٧%) من مجموع مـــاء الأرض ، وهذا الدليل نبع من تعقيم الماء عبر صعوده لطبقات الجو العليا ، وعلى قمم الجبال الثلجية ، حيث إن طهارة هذا الماء أمر ، وامتلاء المحيطات والبحار والعيون بالملوثات ، واحتياجها للتطهير بهذا الماء الطهور العذب أمر آخر ، يدل على وحدانية ﷻ ووجوده ، وبديع صنعه وتأثيره ، وكمال قدرته وتقديره ، في تذليل كونه وتسخيره ، وحفظه لنـــا .

---

(١) الفرقان.

(٢) الفرقان.

(٣) بحر العلوم ، لأبي الليث ، نصر ، بن محمد ، بن إبراهيم ، السمرقندي ، الفقيه ، الحنفي تحقيق: د . محمود ، مطرجي (بيروت ، نشر : دار الفكر) (٢/٥٤٠).

(٤) سورة الفرقان.

المبحث الرابع

توسط كثافة هواء الغلاف الجوي ، والظواهر الجوية والبحرية من الإعصار والعواصف الثلجية ، والفيضان والصواعق ، وعدم اختفاء الظواهر المناخية الجوية ، والبحرية ، والبرية (الرعد البرق الرياح السحاب المطر الزلازل البراكين الأعاصير) ووجوه دلالتها على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية

ويحتوي على عدة مطالب :

المطلب الأول : توسط كثافة هواء الغلاف الجوي ، ودلالته على الوحدانية في ضوء الآيات القرآنية :

-يقول الله – تعالى- : ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [١] وحفيظ صيغة مبالغة على وزن فعيل ، بمعنى اسم الفاعل ، أي : حافظ ، وهو من صور المجاز المرسل الذي علاقته التعلق الاشتقاقي ، أي : وربك حافظ ومستول بعلمه وقدرته على كل شيء ، يقول الطاهر بن عاشور : " والحفيظ : الذي لا يخرج عن مقدرته ما هو في حفظه ، وهو يقتضي العلم والقدرة ، إذ بمجموعها تتقوم ماهية الحفظ ، ولذلك يتبع الحفظ بالعلم كثيرا ، كقوله – تعالى- : ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [٢] وصيغة فعيل تدل على قوة الفعل ، وأفاد عموم ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ [١] أنه لا يخرج عن علمه شيء من الكائنات " [٣] ويقول إسماعيل حقي : " واعلم أنه بين وجوب التوكل على الله وكونه حفيظا حصينا. أولا : بأن ربوبيته عامة لكل واحد ، ومن يرب يدبر أمر المربوب ، ويحفظه فلا يحتاج حفظ الغير.

وثانيا : بأن كل ذى نفس تحت قهره أسير عن الفعل والتأثير فى غيره ، فلا

---

(١) سبأ .

(٢) يوسف.

(٣) التحرير والتنوير(٢٢/١٨٥).

حاجة إلى الاحتراز منه .

وثالثا : بأنه على طريق العدل فى عالم الكثرة ، الذى هو ظل وحدته ، فلا يسلط أحدا على أحد إلا عن استحقاق لذلك ، بسبب ذنب وجرم ، لا يعاقب أحدا من غير زلة ولو صغيرة ، نعم قد يكون لتزكية ، ورفع درجة ، فالمستفاد فى ضمن ذلك كله نفى القدرة عنهم وعن آلهتهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله " [1] ، يقول الألوسي : أي : وكيل قائم على أحواله وشؤونه " [2] ومن صور قيام الله بالحفظ والتدبير لشئون خلقه ، أن خلق كثافة هواء الأرض متوسطة فلو كان الهواء أرق مما هو عليه لاخترقت الشهب والنيازك الغلاف الجوي وقضت على الحياة ، وخربت الأرض ودمرتها(٨٠٠٠ مليون شهاب كل يوم) فسرعة النيزك أربعين ميلا في الثانية ، أي أسرع من البندقية ٩٠ مرة ، وحرارتها شديدة ، وكذلك الأشعة الكونية الضارة ستمر بكميات مهولة تهلك الحياة .

ولو كان أسمك مما هو عليه الآن لمنع مرور الأشعة ذات التأثير الكيماوي الذي تحتاج إليه الزراعة ، والتي تنتج الفيتامينات ، والتي تقتل أيضا الجراثيم ، ولا تسبب أضرارا للإنسان ، يقول –تعالى– : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [3] ولو كان لله شريك لكفاه أن يغير نسبة تركيب مكونات الهواء ليقضي على ما خلق بكوكب الأرض من مخلوقات ، فسبحان من لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل.

المطلب الثاني : الظواهر الجوية والبحرية من الإعصار ، والعواصف الثلجية والفيضان ، والصواعق ، ودلالتها على الوحدانية ، في ضوء الآيات القرآنية :

---

(١)تفسير روح البيان لإسماعيل ، حقي ، بن مصطفى ، الإستانبولي ، المتوفى ١١٢٧هـ (ط ، بيروت

دار الفكر) (١٤٩/٤ ، ١٥٠).

(٢) معاني القرآن ، للألوسي (١٣٥/٢٢) .

(٣) الأنبياء.

–يقول الله : ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ...﴿١٣﴾﴾ [1] ويقول : ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ...﴿١٩﴾﴾

[٢] ويقول : ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [٣] ويقول : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ...﴾ [٤] ويقول : ﴿...وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [٥] ويقول ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾ [٦] ويقول ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾ [٧] ويقول ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾ [٨] ويقول ابن عجيبة في تفسير قول الله -تعالى- : "﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ...١٣﴾ [٩] أو : يدل الرعد بنفسه على وحدانيته تعالى ، وكمال قدرته ملتبساً بالدلالة على كمال فضله ، ونزول رحمته " [١٠] .

ويقول سيد قطب في تفسير الآيات من سورة الرعد : "﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [١١] وهو كذلك الذي ينشئ السحاب ، والسحاب اسم جنس واحدته سحابة (الثقال) بالماء ، فوفق ناموسه في خلقة هذا الكون وتركيبه ، تتكون السحب

---

(١) الرعد .
(٢) البقرة.
(٣) الروم.
(٤) الأعراف.
(٥) الرعد.
(٦) نوح.
(٧) التكوير.
(٨) الحاقة .
(٩) الرعد.
(١٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس ، أحمد ، بن محمد ، بن المهدي ، بن عجيبة الحسني ، الأنجري ، الفاسي ، الصوفي ، المتوفى ١٢٢٤هـ تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان (ط القاهرة ، ١٤١٩هـ ، نشر/ د : حسن عباس زكي)(٢/١٥٠).
(١١) الرعد.

وتهطل الأمطار ، ولو لم يجعل خلقة الكون على هذا النحو ، ما تكونت سحب ، ولا هطلت أمطار ، ومعرفة كيف تتكون السحب ، وكيفية هطول الأمطار ، لا تفقد هذه الظاهرة الكونية شيئاً من روعتها ، ولا شيئاً من دلالتها ، فهي تتكون وفق تركيب كوني خاص ، لم يصنعه أحد إلا الله ، ووفق ناموس معين يحكم هذا التركيب ، لم يشترك في سنه أحد من عبيد الله ! كما أن هذا الكون لم يخلق نفسه ، ولا هو الذي ركب في ذاته ناموسه !

والرعد . . الظاهرة الثالثة لجو المطر والبرق والرعد . . هذا الصوت المقرقع المدوي ، إنه أثر من آثار الناموس الكوني ، الذي صنعه الله – أياً كانت طبيعته وأسبابه – فهو رجع صنع الله في هذا الكون ، فهو حمد وتسبيح بالقدرة التي صاغت هذا النظام ، كما أن كل مصنوع جميل متقن يسبح ويعلن عن حمد الصانع والثناء عليه بما يحمله من آثار صنعته من جمال وإتقان " [1] .

ويقول : " وهكذا تضيع أصواتهم الضعيفة في غمرة هذا الهول المتجاوب بالدعاء والابتهال ، والرعد ، والقرقعة ، والصواعق ، الناطقة كلها بوجود الله الذي يجادلون فيه وبوحدانيته ، وهم يجادلون في الله ، وينسبون إليه شركاء يدعونهم معه ، ودعوة الله هي وحدها الحق ، وما عداها باطل ذاهب ، لا ينال صاحبه منه إلا العناء " [2].

ويقول : " هذه كلها –يعني الظواهر الواردة في سورة الرعد–لا تتجمع في النص اتفاقاً أو جزافاً ، إنما تتجمع لتلقي كلها ظلالها على المشهد ، وتلفه في جو من الرهبة والترقب ، والخوف والطمع ، والضراعة والارتجاف ، في سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر ، والنفع ، والضر ، نفياً للشركاء المدعاة ، وإرهاباً من عقبى الشرك بالله " [3].

ويقول الله –تعالى– : ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ..﴿٢٦٦﴾﴾ [4] ويقول

---

(١) في ظلال القرآن(٤/٢٠٥١).

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٠٥١)..

(٣) في ظلال القرآن(٤/٢٠٥٠).

(٤) البقرة.

الواحدي : " ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ كمثل بيان هذه الأقاصيص ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [1] في أمر توحيده [2] .ويقول الله -تعالى- : ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ...﴾ [3] قلت : تدلنا الآيتان على أن استمرار حدوث الكوارث الطبيعية المترتبة على التقلبات الجوية ، مثل العواصف الثلجية ، وفيضان الأنهار ، وهبوب الرياح ، ونزول الصواعق ، من أدلة وحدانية الله ، ولذلك يقول ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فمن يشاء الله أن يصيبه بالصواعق يصاب ، فلا يستطيع أحد غيره سبحانه ذلك ، فهو وحده القادر على ذلك ، يقول البيضاوي في تفسير قول الله -تعالى- : " ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ...﴾ [3] مبينا ارتباط معنى الآية بتفرده تعالى بالألوهية : " ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ...﴾ فيهلكه ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [3] حيث يكذبون رسول ﷺ -ﷺ- فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة ، والتفرد بالألوهية ، وإعادة الناس ، ومجازاتهم " [4] ويقول مقاتل بن سليمان : " ... قوله تعالى : ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾[3] ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[3] يعني أربد بن قيس ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾[3] يعني يخاصمون في ﷺ ، وذلك أن عامراً قال للنبي-ﷺ- : أخبرني عن ربك ، أهو من ذهب ، أو من فضة أو من نحاس ، أو من حديد ، أو ما هو ؟ فهذا القول خصومته ، فأنزل ﷺ تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ

---

(١) البقرة.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن ، علي ، بن أحمد ، الواحدي ، المتوفى سنة ٤٦٨هـ تحقيق : صفوت ، عدنان ، داوودي (ط ١ ، دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشامية ، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) (١/١٨٨ ، ١٨٩).

(٣) الرعد.

(٤) أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ، لعبد الله ، بن عمر ، بن محمد ، البيضاوي(١/٣٢٢).

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ " [1] يقول : ليس هو من نحاس ولا من غيره ، وسلط الله عليه الطاعون في بيت امرأة من بني سلـــول فجعل يقول : عامر قتيل بغير سلاح ، غدة كغدة البعير وموت في بيت سلـــولية أبرز يا ملك الموت حتى أقاتلك : فذلك قوله : ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [2] يعنى الرب تعالى نفسه ، يعني شديد الأخذ إذا أخذ ، نزلت في عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس " [3]. فمن تلكم الآيات الجليلات نستفيد أن استمرار الظواهر الكبرى بكوكب الأرض من الرعد ، والبرق ، والرياح ، والسحاب ، والمطر ، والـــزلازل ، والبراكين والأعاصير ، وغيرها ، دليل على وحدانية المدبر لذلك ، وإلا اختفت بعض الظواهر ، واستمر بعضها تبعا لاختلاف إرادات الآلهة ، ومن ثم فإن حدوث الأعاصير واستمرارها ، يدل على إله واحد متحكم في ذلك ، ومقدر له.

---

(١) الرعد.

(٢) الإخلاص.

(٣) تفسير مقاتل (٣٧١/٢)

الخاتمة

دلت هذه الأدلة على وجود إله صبغ الكون بصبغة التفرد في وضع قوانينه في الكون ، بحيث تسطع دلائل وحدانيته ، وتفرده بخلقه ، وتنظيم كونه ، سطوع الشمس في رائعة النهار ، يقول الله -تعالى- : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (١).

فهو الذي قرر أن يكون الكون على نظم واحدة ، على وحدانيته شاهدة ، ولعظمته ساجدة ، واعلم بأن الخاتمة ستحوي أهم النتائج ، إتماما للفائدة ، فهاك هي :

أولا : أهم النتائج

تتلخص أهم نتائج البحث ، فيما يملي :

١-بصمة العمومية في المكونات التي لا استثناء فيها لشيء ، كما نجد طبقات الأرض والغلاف الجوي والشمس وأقصى مدارت للإليكترونا سبعا ، فهي دليل على وحدانية الله ، وهو دليل لم يكن بحاجة إلى استثناء ، لما في ذلك من إظهار لكمال قــدرة الله ، وواسع علمه ، وباهر حكمته ، ومثل خلق الأحياء جميعا من الماء ، كما قال الله -تعالى- : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [1] وعمومية القرار دالة على وحدانية مصدره الذي يحكم لا معقب لحكمه .

٢- بصمة عمومية التشابه بين المخلوقات في كل نوع من الجمادات والأحــياء في مظاهر خلقها ، ورسم ملامحها ، ووظائفها ، دليل على أن خالقها واحد .

٣- بصمة عمومية الاختلاف تدل على خلاق واحد في إبداعه ، فمثلا نجد الجبال تتشابه لكن لا تجد جبلا هو طبق الأصل من جبل آخر حجما أو وزنا أو ارتفاعا أو تضاريسا فيد الإبداع الخلاقة للعجائب تجعل لكل جبل بصمة خاصة به .

٤- بصمة الاستمرارية كقانون ، دالة على وحدانية الله ، فمثلا نجد أن الله أصدر قراره باستمرار دورة الليل والنهار ، فاستمرت دون منازع له يوقفها ، ولو يوما.

---

(١) سورة البقرة .

(٣) الأنبياء.

٥

٥- بصمة الحفظ كحفظ الأحياء ، يدل على إله حافظ واحد عمم قانون الحفظ ، فلا مبدل لقانونه ، ولا مغير لسنته ، يقول الله تعالى - : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝﴾ [٢] ويقول : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ...۝﴾ [٣] وكحفظ السماء ، يقول الله : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [٤] .

٦- قانون التوازن دال على وحدانية الله وبالغ حكمته .

٧- بصمة الحركة ، فكل شيء كتب الله عليه الحركة ، فعينك لو أعطيت القدرة فرأت مكونات المخلوقات الذرية والجزيئية ، لرأتها في حركة دائبة ، يقول الله : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [٤] ويقول : ﴿...وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾ [٢] ولا ريب أن محرك العالم الأول هو الله.

٨- الشرك بالله في العبادة ، أو الخالقية ، أو أي صفة من صفات الكمال الإلهي ليس من العلم في شيء ، بل إنه يضاد العلم في كل شيء ، من الذرة إلى المجرة ومن أصغر من الذرة ، إلى أكبر من المجرة ، فقوانين العلم ومعطياته ، وجميع مواده ومقاييسه ومكتشفاته ، تقود إلى حقيقة أزلية ، وهي كلمة لا إله ، ولا رب بحق إلا الله العظيم ، المتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقصان .

وأخيرا أختم بحثي ، بالحمد لله على الإتمام ، وإيراد أفضل الصلاة والسلام ، على النبي الهاشمي الخاتم ، وآله وصحبه الأكارم ، وأسال الله العلي الواحد ، والكبير الماجد ، أن يتقبل أعمالنا ، ويزيد إيماننا ، ويثبت توحيدنا ، ويجعل ما بذلت من جهد في هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وآخر دعوانا ، أن الحمد لله رب العالمين .

تمَّ بِحَمْدِ الله

---

(١) الطارق.

(٢) الأنبياء.

(٣) الحج.

(٤) يس.

أولا : فهرس المراجع

اسم المرجع معلومات التحقيق والطبع والنشر رقم الصفحة

أولا : كتب التفسير وعلوم القرآن :

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (ط ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ) ١٦، ٤٣

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٦٢

بحر العلوم ، لنصر بن محمد السمرقندي تحقيق: د . محمود مطرجي

(بيروت ، نشر : دار الفكر) ٥٧

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ط ، القاهرة ، ١٤١٩هـ ، نشر ٦٠

لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني د : حسن عباس زكي)

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق : عبد العليم الطحاوي

لمجد الدين ، محمد ، بن يعقوب للفيروزابادي (ط ١ القاهرة ، المجلس الأعلى ، ١٣٩٠ هـ) ٨

تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل تحقيق : أحمد فريد (ط١، بيروت ، نشر

ابن سليمان بن بشير البلخي دار الكتب العلمية – ١٤٢٤ هـ) ٨ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٣

تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء تحقيق : سامي بن محمد سلامة

إسماعيل بن عمر بن كثير

(ط ٢ ، نشر : دار طيبة للنشر ، ١٤٢٠هـ) ٧ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ط١ ، السعودية ، مؤسسة الرسالة١٤٢٠هـ) ١٣

جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد تحقيق : أحمد محمد شاكر

ابن جرير بن يزيد بن كثير أبي جعفر الطبري

(ط ١ ، نشر : مؤسسة الرسالة١٤٢٠ هـ) ٤٧

الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد تحقيق : هشام سمير البخاري

ابن أحمد القرطبي (ط ، الرياض ، نشر : دار عالم الكتب ، ١٤٢٣ هـ) ٤٣

الدر المنثور لعبد الرحمن ، السيوطي (ط ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣م) ١٧

روح البيان لإسماعيل ، حقي ، بن مصطفى (ط ، بيروت ، دار الفكر) ٥٩

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (طبع ونشر بيروت ، دار إحياء التراث

والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي العربي) ٨

زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن

علي بن محمد بن الجوزي (ط ٣ ، بيروت نشر : المكتب الإسلامي) ٢٢، ٢٣

في ظلال القرآن لسيد قطب (ط ١ ، القاهرة ، دار الشروق) ٢٠، ٢٤، ٣٧، ٥٣، ٦٠
لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين مطبعة التقدم العلمية
علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ١٩ ، ٢٠
اللباب في علوم الكتاب ، لعمر بن علي بن عادل (ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩) ٤٧
مفاتيح الغيب من القرآن الكريم ، لمحمد بن (دار النشر/دار إحياء التراث العربى)
اسم المرجع معلومات التحقيق والطبع والنشر رقم الصفحة
عمر بن الحسين الرازي الشافعي ٥٤
النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد
ابن حبيب الماوردي البصري (ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية) ٣٥ ، ٤٠
الوجيز للواحدي (ط ١ ، دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار
الشامية ، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ٦٢

ثانيا : الكتب والمجلات والصحف العلمية ، وكتب الإعجاز العلمي في القرآن :

الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث (ط ، مصر ، دار المعارف ، ١١١٩ ، كورنيش
للدكتور / منصور حسب النبي النيل ، ٢٠٠٣م) ٣
الإسلام يتجلى في عصر العلم أعده للطباعة وجمعه الأستاذ الدكتور /
(الدين والرسول والكتاب) تأليف المرحوم أحمد عبد السلام الكردانى (ط ، دار الكتب
الأستاذ الكبير محمد أحمد الغمراوي الحديثة ، ومكتبة السعادة ، ميدان أحمد ماهر
شارع الجداوي رقم ١٢ ، سنة ١٩٧٣م) ١ ، ٢
الإعجاز العلمي في الإسلام ، لمحمد (ط ٥ ، مصر ولبنان ، الدار المصرية اللبنانية
كامل عبد الصمد ١٦ ش عبد الخالق ثروت بالقاهرة ، سنة ١٤٢١هـ) ١٨ ، ٥٢ ، ٥٣
الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، للأستاذ (ط ٥ ، مصر ، مكتبة نهضة مصر ، يناير
الدكتور : زغلول النجار سنة ٢٠٠٤م) ١٧ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦
الإعجاز الكوني في القرآن ، تأليف الدكتور (ط ١ ، القاهرة ، دار زاهد القدسي ٣٤ ش
السيد الجميلي طلعت حرب ، سنة ١٩٨٨م) ١٨
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع ﷻ في (ط ١ عابدين ، القاهرة ، ٧٤ ش البستان
السماء ، للأستاذ سعيد صلاح الفيومي سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) ٢٨ ، ٥٣
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة (ط ١ القاهرة ، دار التقوى للنشر والتوزيع
النبوية ، تأليف شريف كمال عزب ٨ شارع زكي عبد العاطي من شارع عمر
ابن الخطاب ، عرب جسر السويس ، سنة ١٤٢٥هـ) ٣١
خلق الكون بين العلم والإيمان ، للدكتور/محمد (ط ١، بيروت ، دار النفائس للطباعة

باسل الطائي شارع فردان ، سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ٤٥
الذرة تسبح الله ، للكاتب أميد شمشك (ط ، القاهرة المختار الإسلامي للنشر والتوزيع
ترجمه عن التركية : أورخان محمد علي ١٦ شارع كامل صدق الفجالة) ٢١
صور من تسبيح الكائنات لله ، للأستاذ (ط١٠، القاهرة ، ١٨ شارع كامل
الدكتور : زغلول راغب محمد النجار صدقي ، الفجالة ، يناير ٢٠٠٦م) ١٤
القرآن الكريم والعلم الحديث ، للدكتور
اسم المرجع معلومات التحقيق والطبع والنشر رقم الصفحة
منصور محمد حسب النبي (ط ، القاهرة ، دار المعارف) ٢٨ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١
من آيات الإعجاز العلمي -النبات في القرآن (ط٢ ، القاهرة ، ٩ شارع السعادة ، أبراج
الكريم- للأستاذ الدكتور : زغلول النجار عثمان ، روكسي ، سنة ١٤٢٦- ٢٠٠٥م) ٣٥ ، ٥١
الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة (ط١ مصر ، دار بن الجوزي ، ٢٢ درب
النبوية ، للعالم الدكتور أحمد مصطفي الأتراك خلف الجامع الأزهر ، سنة ١٤٢٦هـ) ٢٧
ثالثا : كتب العقيدة :
رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة مرقم آليا من الموسوعة الشاملة ٦
رابعا : كتب الحديث :
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور (ط ١ ، نشر : دار طوق النجاة ، سنة ١٤٢٢هـ)
رسول الله -ﷺ-وسننه وأيامه ، للبخاري تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ١٦ ، ٢٠
صحيح مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
(ط ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ١٧
غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد الرحمن تحقيق : د/عبد المعطي أمين قلعجي
ابن علي بن محمد بن علي (الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ١٧
غريب الحديث ، لحمد بن محمد بن إبراهيم تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي
الخطابي البستي أبي سليمان (نشر : السعودية مكة المكرمة ، جامعة أم القرى) ١٧
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل العجلوني (نشر
دار إحياء التراث العربي) ١٢
المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله تحقيق : مصطفي عبد القادر عطا
أبي عبد الله ، الحاكم ، النيسابوري (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية سنة ١٤١١ هـ) ١٢
يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار تحقيق : د. أحمد حجازي السقا وأصحاب النار ، لصديق
بن حسن القنوجي (الطبعة ١، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٣٩٨ هـ) ١٢

خامسا : كتب اللغة والأدب ، والشعر ، والوعظ :

ديوان أبي العتاهية (ط ، بيروت ، سنة النشر : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ٧

رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق للعفاني (ط ١ ، نشر مكتبة معاذ بن جبل) (٢١) (٥٤)

قذائف الحق ، للشيخ محمد الغزالي (ط ١ ، دمشق ، دار القلم ، سنة ١٤١١هـ) ٤٩

لسان العرب ، لمحمد بن مكرم ابن منظور (ط١ ، بيروت ، الناشر : دار صادر) ٦